



سلسلة الدراسات التاريخية (8)



# الدُّفَارُ المَمْلَكَةُ المَنْسِيَّةُ

إضاءات أولية حول تاريخ منطقة الدفار

د. عوض شيبًا

2021

وحدة البحوث والنشر - مركز بحوث ودراسات دول حوض البحر الأحمر - السودان

الدفار المملكة المنسية - إضاءات أولية حول تاريخ منطقة الدفار - د. عوض شيبًا



ردمك ISBN 5-0-804-99988-978  
رقم الإيداع: 0607/2021

دار آريثريا للنشر والتوزيع  
Arrythria for Publishing and Distribution

# سلسلة الدراسات التاريخية (8)

خلفاء مملكة المقررة (2)

# الدُّفَار المَمْلَكَة المَنْسِيَة

(إضاءات أولية حول تاريخ منطقة الدفار)



د. عوض شبا

الطبعة الأولى 2021م

فهرسة المكتبة الوطنية أثناء النشر - السودان  
962.402 - عوض أحمد حسين شبا، 1975 -

ع. أ. د.

الدفار المملكة المنسية : إضاءات أولية حول تاريخ منطقة الدفار/ عوض أحمد حسين  
شبا.-الخرطوم: دار آريثريا 2021  
104ص؛ 24سم.- (سلسلة دراسات حوض البحر الأحمر)  
ردمك: ISBN 978-99988-803-0-5  
1- (الدفار (مروي، السودان) - تاريخ. أ- العنوان ب- السلسلة.

فهرسة المكتبة الوطنية السودانية-السودان

الخرطوم : مركز دول حوض البحر الأحمر 2021

تصدر عن دار آريثريا للنشر والتوزيع -السوق العربي-السودان - الخرطوم



دار آريثريا للنشر والتوزيع

Arithria for Publishing and Distribution

## كلمة الناشر

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

وبعد

القارئ الكريم:

سلسلة دراسات دول حوض البحر الأحمر مجموعة من الإصدارات الجديدة والدراسات المختارة؛ وهي ثمرة التعاون بين دار آثريريا للنشر والتوزيع ومركز بحوث ودراسات دول حوض البحر الأحمر - السودان.

هذه السلسلة هي باكورة إصدارات دار آثريريا للنشر والتوزيع من إعداد وإشراف وحدة البحوث والنشر بمركز بحوث ودراسات دول حوض البحر الأحمر تضمنت عدد من الدراسات المختارة التي تطرقت لبعض قضايا البحر الأحمر المختلفة ونشرت في مجلات القلم العلمية المتخصصة ، وكتب أخرى تناولت موضوعات دول حوض البحر الأحمر وخاصة السودان. ويسر دار آثريريا للنشر والتوزيع أن تسهم في تفعيل الحراك العلمي والبحثي بنشرها لهذه الدراسات والبحوث المتنوعة لتفد به مكتبة دول حوض البحر الأحمر والمكتبة العالمية بعدد وافر ومميز من الكتب القيمة ، محققة بذلك شعارها المطروح (نحو نشر علمي رصين وهادف).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا ﴾

سورة الإسراء, الآية (13)

## إِهْدَاءٌ

إلى الأجيال الواعدة من الباحثين الذين يتلمسون طرقاً شتى  
لدراسة تاريخ السودان حتى يستشرفوا المستقبل على أسس واضحة  
المعالم أقدم هذه الإضاءات ....

## شكر وعرفان

إلى الأستاذ الدكتور / يوسف فضل حسن

إلى الأستاذ الدكتور / أحمد عبدالرحيم نصر

كثيرون هم الذين ساعدوني في إعداد وجمع هذا الكتاب ، ولكنني أجد نفسي ممتنا بصورة خاصة إلى هذين العالمين الجليلين الذين إقتطعا من وقتهمما الثمين لقراءة مسودة هذا الكتاب في بعض مراحلها وقدموا لي الكثير من الملاحظات العلمية المهمة فتحت لي آفاق جديدة للبحث عن هذه الفترة ، ولكنى فضلت أن أخرج الكتاب بشكله الحالي لعله يسهم في إلقاء الضوء على هذه المنطقة، مع معالجة ما أمكن من ملاحظات و أن أكمل ماتبقى منها وتضمنين ما إستجد من دراسات حول الموضوع في الطبعة الثانية بإذن الله تعالى ...

مع خالص الشكر والتقدير للجميع

## محتويات الكتاب

- (4).....الإهداء
- (5).....شكر و عرفان
- (7).....محتويات الكتاب
- (8).....المقدمة

### الفصل الأول

- (26-15).....حصن الدفار (مدخل جغرافي أثاري)

### الفصل الثاني

- (36-29).....ملامح من تاريخ الدفّار قبل الفترة الإسلامية

### الفصل الثالث

- (52-39).....البديرية وإمارة الدفّار الإسلامية

### الفصل الرابع

- (72-55).....المقابدة والمقاودة ( نافذة على المكون الاجتماعي )

### الفصل الخامس

- (96-75).....التعليم الديني والإسهام الحضاري

- (98-97).....الخاتمة

- (104-99).....المصادر والمراجع

## المقدمة

هذا الكتاب يمثل الجزء الثاني من دراستنا حول الكيانات السياسية والاجتماعية التي خلفت مملكة المقرة تحت عنوان: (خلفاء مملكة المقرة)، وقد صدر الجزء الأول في كتاب عام 2011م، تحدث عن الدناقلة والشايقية باعتبارهما المجموعتان الرئيسيتان اللتان شكلتا الواقع السياسي بعد نهاية مملكة المقرة في إطار الجغرافية السياسية للمملكة الممتدة على النيل ما بين الشلالين الثالث والرابع، وذكرنا في مقدمتنا - للكتاب أعلاه- أن كل كيان سياسي من هذه الكيانات يحتاج لدراسات مفردة ومنها إمارة الدُّفَار - موضوع هذا الكتاب - ونكرر هنا القول بأهمية مثل هذه الدراسات لهذه الفترة، والتي شهدت تحولات اجتماعية سياسية كبيرة في السودان النيلي بصورة خاصة، وفق نهجنا الذي يقوم على تفكيك المكونات السياسية والاجتماعية للمنطقة المعنية بالدراسة- ثم تقسيها الي موضوعات ودراستها بصورة تفصيلية، ثم إعادة تركيبها وترتيبها من جديد حتى يمكننا رسم صورة تكون مقاربة بقدر الإمكان لوقائع تلك الفترة المهمة من تاريخ السودان.

هذا الكتاب في مادته الأساسية ورقة علمية قدمتها في ورشة علمية تناولت البحث عن آثار مملكة الدُّفَار، بجامعة إفريقيا العالمية عام 2017م، ضمن فعالية مشروع سنار عاصمة الثقافة الإسلامية (2017م) بعنوان: « ملامح من تاريخ الدُّفَار من خلال الروايات الشفاهية بمنطقة المقراودة)، ثم واصلت في البحث والتقصي عن تاريخ هذه المنطقة -المثيرة للجدل- وجمعت بعض المعلومات وفضلت أن أنشرها في هذا الكتاب لتكون إضاءة أولية للباحثين عن التاريخ الحضاري والثقافي لمنطقة المنحنى العظيم للنيل، في فترة تاريخية هامة عقب تدهور وإضمحلال مملكة المقرة، والتي شهدت تحولات سياسية واجتماعية وثقافية كبرى، واخترت لهذا الكتاب عنوان: (الدفار المملكة المنسية) رغم تحفظي على مصطلح مملكة وتفضيلي لمصطلح إمارة أو مقاطعة كتوصيف لهذا الكيان السياسي لأن هذا الاسم جرى استخدامه على لسان أهل المنطقة وفي بعض المصادر السودانية، أما المنسية لعدم الاهتمام بها من قبل الباحثين والدارسين مع أنها مازالت محفورة في الذاكرة الجمعية السودانية، فضلا عن

إشارات مع ندرتها منثورة في بعض المدونات بدون بيان وترتيب لمسمى مملكة الدفار، ومعلوم أن ما حفظ في الصدور قابل للنسيان مع مرور الزمان وطول تعاقب الأجيال. ولأن هذا الكتاب يحاول أن يقدم إضاءات أولية لتاريخ هذه المنطقة قد تسهم في التأسيس العلمي لرسم ملامح الدفار من جوانب متعددة.

وقمت بتقسيم موضوعات الكتاب إلى خمسة فصول على النحو التالي:

الأول: موقع حصن الدفار (مدخل جغرافي آثاري)

الثاني: ملامح من تاريخ الدُفَّار قبل الفترة الإسلامية.

الثالث: البديرية وإمارة الدُفَّار الإسلامية

الرابع: المقابدة والمقاودة (نافذة على المكون الاجتماعي).

الخامس: التعليم الديني والإسهام الحضاري

أعتمدت هذه الدراسة على المنهج التاريخي التحليلي، ونسبة لقلّة المعلومات وتضاربها في مرات كثيرة، نحت الدراسة أحياناً إلى منهج إعادة البناء التاريخي في محاولة لرسم صورة وصفية لتاريخ المنطقة<sup>(1)</sup>، وكذلك ركزت الدراسة على عرض عدد من الصور الفتوغرافية الخاصة بالمواقع الأثرية وبعض الموضوعات ذات الصلة بالدراسة، إلى جانب الخريط التوضيحية.

أن مصادر هذه الدراسة ومراجعتها جاء نتيجة لإستنتاج المسوح الأثرية والتي أُجريت في موقع الدُفَّار، وكتابات الرحالة الأوربيين الذين زاروا المنطقة، وبعض المخطوطات والدراسات التي تناولت جانباً من تاريخ الدُفَّار، فضلاً عن المقالات التي نشرت على المواقع الإلكترونية، كم أعتمدت الدراسة على الروايات الشفوية كمصدر أساسي من مصادر هذه الدراسة، رغم أن هناك اتجاهاً لدى بعض الدارسين يُقلّل من أهمية الرواية الشفوية كمصدر لدراسة التاريخ لأن هناك بعض جوانب القصور قد تسودها، وفي دراسة قيمة ليان فانسينا والتي أشار فيها إلى الأهمية التاريخية للمآثورات الشفوية، والتي يعرفها بأنها تتمثل في من كل الشواهد اللفظية التي تعد روايات منقولة متعلقة بالماضي أي أنها تحكي عن حادث لم يشاهده الراوي، ولكنه علم به عن طريق السماع، وناقش الكتاب أيضاً أوجه القصور التي تعترى الرواية أو المآثور الشفوي مثل إفتقارها إلى مفهوم التسلسل الزمني للأحداث حيث تقيس

المجتمعات الشفوية الزمن بالحوادث غير العادية مثل الكوارث والظواهر الطبيعية أو المناسبات الاجتماعية من ميلاد وزواج أو المواسم الزراعية الخ، ولتحديد الفترة الزمنية التقريبية للحوادث التي ارتبطت بالحالات السابقة يري إمكانية الإستعانة بالمصادر المكتوبة وبعلوم أخرى مثل الآثار، الفلك، التاريخ واللغة، وكذلك قد تطال الرواية التغيير والتحريف عبر انتقالها من جيل إلى الجيل التالي بسبب الإضافات التي تحدث للرواية أو الحذف نتيجة النسيان أو الإنتقاء، ويرى فانسينا أنه بالإمكان معالجة هذا الخلل إذا توفرت عدة روايات وذلك بمقارنتها مع بعضها من حيث المحتوى والزمان، ويضيف بأنه يجب التمييز بين المأثور وتفسيره، وأيضاً مراعاة النظم والقيم الإجتماعية لدى مجتمع الدراسة، ويحتاج هذا إلى إلمام الباحث الكافي بلغته وثقافته<sup>(2)</sup>، وهذه المقدمة - القصيرة - لا تتيح لنا التفصيل في هذا الموضوع لذا نقفز للقول بأن الرواية الشفوية وجدت اهتماماً كبيراً لدى بعض المؤسسات العلمية في السودان ولعل أولها وحدة أبحاث السودان \_ معهد الدراسات الأفريقية والآسيوية \_ جامعة الخرطوم، وعدد مقدر من الباحثين السودانيين وتم استخدامها كمصدر لدراسة التاريخ ونشير هنا - على سبيل المثال - إلى كتاب أحمد عبد الرحيم نصر (تاريخ العبدلاب من خلال رواياتهم السماعية) الذي مهّد له بتقديم وافي عن أهمية الرواية الشفاهية كمصدر لدراسة التاريخ<sup>(3)</sup>، وفي ذات الإطار يقول يوسف فضل حسن: «لا شك أن الإعتماد على المصادر الشفوية لبعض الفترات التاريخية أمر لا غنى عنه لضعف المصادر المكتوبة من جهة، ولتعدد المجتمعات غير الكتابية في السودان من جهة أخرى. ويمكن تلافي القصور في التعامل مع المصادر الشفوية الذي شكى منه عدد من الباحثين بمزيد من التأهيل والتدريب العلمي واستحداث مناهج للنقد التاريخي لهذه المناهج»<sup>(4)</sup>، وصفوة القول - عندي - ضرورة الإهتمام بالرواية الشفاهية والاستفادة منها كمصدر مهم لدراسة تاريخ السودان - وخاصة الفترة ما بعد الوسيطة (1400-1800م) أو الفترة الإسلامية المبكرة - وذلك بإخضاعها للمنهج التاريخي من ناحية الضبط الوثيقي عند جمع المادة من مصادرها الشفاهية ثم تصنيفها وتحليلها.

وختاماً أتمنى أن يحقق هذا الكتاب غرضه في طرح العديد من التساؤلات حول هذه الفترة المهمة والغامضة من تاريخ السودان، وذلك بتقديم بعض الإضاءات

عن منطقة الدُّقار وأن يكون مفتاحاً لمزيد من الدراسات في المستقبل حتي تتضح الصورة المرجوة عن هذه الفترة وهذه المنطقة وتلافي مكامن القصور في هذه الدراسة ، وأخيراً أتقدم بخالص الشكر والتقدير لكل من قدم لي يد المساعدة والعون حتى وصلت هذه الدراسة إلى صورتها الحالية.

عوض شبا ( المقابدة\_2019م)

هوامش وحواشي المقدمة:

- (1) يصف محمد جلال هاشم منهج إعادة البناء التاريخي بمحاولة رسم صورة لوجه شخص عبر توصيف دقيق يقوم به شخص آخر لم يتمكن من تلمُّي وجه الشخص المعني (محمد جلال أحمد هاشم، جزيرة صاي، قصة الحضارة، (أم درمان: مركز عبد الكريم ميرغني، 2014م)، ص 14-15. لمزيد من التفاصيل حول هذا الموضوع، راجع:
- (2) يان فانيسيا، المآثورات الشفاهية، ترجمة: أحمد مرسى، (القاهرة: مكتبة الدراسات الشعبية، 1999م).
- (3) أحمد عبد الرحيم نصر، تاريخ العبدلاب من خلال رواياتهم السماعية، ط2، (الخرطوم: الأمانة العامة لمشروع سنار عاصمة الثقافة الإسلامية (1438هـ / 2017م)، سلسلة كتاب سنار (21).
- (4) يوسف فضل حسن، الكتابة التاريخية في السودان وادي النيل (ملامح من بدايتها، ملاحظات حول تطورها، ورؤى حول مستقبلها)، (الخرطوم: الجمعية التاريخية السودانية، 2018م)، ص 54.

## الفصل الأول

# حصن الدُّفَّار (مدخل جغرافي آثاري)



## الفصل الأول حصن الدُقَّار (مدخل جغرافي آثاري)

يتناول الفصل الأول الدلالات التاريخية والثقافية لاسم الدُقَّار والامتداد الجغرافي لمنطقة الدفار، ثم ووصف الرحالة والآثاريين لموقع حصن الدُقَّار الأثري وملخصات للمسوح الأثرية التي تمت في الموقع، وذلك لأهمية موقع حصن الدفار طغى عليه الآن اسم جقنارتى\_ لأنه كان يمثل المركز الإداري الأول للمنطقة أو بمثابة العاصمة وبها عرفت اسم المنطقة، كما وردت في المرويات الشفوية وفي بعض المصادر السودانية \_طبقات ابن ضيف الله مثلا\_ لتتبع التطور الحضاري والاجتماعي والثقافي مما يعد مدخلا جيدا لدراسة تاريخ المنطقة.

### 1 - 1 الدُقَّار .. الاسم والموقع:

الدُقَّار اسم اطلق على منطقة بها قلعة قديمة، وهي تقع على الضفة اليمنى للنيل وتبعد بنحو 9 أميال عن أبي دوم قشاي<sup>(1)</sup>، أما الإمتداد الجغرافي للدُقَّار - والتي أشتهرت في المدونات التاريخية السودانية بمملكة الدُقَّار - فهي المنطقة الممتدة على النيل عند منحناه الكبير (شرق - غرب) من دنقلا العجوز شمالاً وحتى الضيقة جنوباً، وهي تكاد تكون مطابقة إلى حد كبير للحدود الحالية لمحلية الدبة في التقسيم الإداري الحالي للولاية لشمالية، وهذه الحدود تقريبية -في الغالب- لأن القول بوجود حدود واضحة للجغرافية السياسية في تلك الفترة قد يجافي الحقيقة لأن الإمتدادات السياسية للكيانات الموجودة في تلك الفترة كانت تعتمد على قوة ونفوذ الكيان نفسه، وإن كان من قول حول الأهمية الجغرافية للدُقَّار، فإن هذا الموقع يعتبر مهماً وإستراتيجياً لأنه يمثل القلب النابض في منحى النيل العظيم الذين يغير مجراه -جنوب شمال- ليمتد شرقاً وغرباً ليكون رابطاً بين الصحراء الشرقية وساحل البحر الأحمر من جهة وبين الصحراء الغربية ومناطق دارفور وكردفان من الجهة الأخرى، وبهذا الموقع مثلت منطقة الدُقَّار وإمتداداتها بؤرة للتفاعلات الإجتماعية والثقافية والسياسية نتج عنها حضارات عظيمة قامت على ضفاف النيل على مر الحقب التاريخية (خريطة رقم (1)، صورة رقم (1)).

ويعرف الآن موقع الدُقَّار (مكان الحصن) بجقنارتى -يفسرها البعض بجزيرة الفئران كترجمة حرفية من اللغة النوبية الدنقلاوية -وكانت هذه الجزيرة مهمة

## الدُّقَار المَهْلَكَة المَنْسِيَة ( إضاءات أولية حول تاريخ منطقة الدفّار )

وقد صفها الرحالة الفرنسي لينان دوبلفون (يوم السبت 29 سبتمبر 1881م) بقوله: « وتوقفنا عند جزيرة جقرنارتي لشد الشراع، لأن النيل هنا شديد الإنعطاف بزاوية قدرها تسعون درجة بإتجاه الناحية الشمالية الشرقية. وكان من الصعب أن نجد الأهالي لأنهم فروا وتسللوا داخل الأشجار الشوكية واستعملوا جميع الحيل في الهروب منا، وشاهدت على هذه الجزيرة أعمدة جرانيتية على قممها تيجان. وكان أحد هذه الأعمدة يقف منتصباً بينما تشاهد ستة أخرى واقفة على الأرض بالقرب من قواعدها. هذه الأعمدة بقايا لكنيسة ويلاحظ أنها لم تقطع ولم تكن متناسقة. أما التيجان فهي مربعة في الجزء العلوي مجموعة من المنحوتات أعتقد إنها الأسوء من حيث الصنع. ولا يوجد في الجوار أي جدران ولا مبني. توقفنا عند حافة الجزيرة حيث شاهدنا مجموعة من التماسيح»<sup>(2)</sup> ويطلق العباس عبد العال على هذه الجزيرة اسم قيقر نارتى ويذكر أنها وردت عند لينان باسم قيانقا - آرتي وعند كايو باسم قويد نارتى<sup>(3)</sup>، وأظن أن الاسم الأقرب للصحة هو قيقر نارتى وهي كلمة دنقلاوية نوبية تعني الجزيرة المسورة بمبني من الطين أو الطوب اللبن، ويبدو أنها حرفت حالياً إلى جقرنارتي، لأن نطق حرف القاف في المقطع (قيقر) في اللغة النوبية أقرب لنطق الجيم في العامية المصرية والياء أقرب لحرف المد لذا احتمال دمج الحرفين وارد، وربما قرية قنتي الحالية كانت امتداد لهذه الجزيرة حيث تشير الاكتشافات الأثرية الحديثة في قنتي الواقعة قبالة حصن الدُّقَار - وجود أعمدة وكنيسة قريبة من وصف لينان لها، وربما كان بها في السابق سور فإستمدت اسم الجزيرة المسورة منها \_ قيقرنارتي.



خريطة رقم (1) توضح منطقة الدفار  
(لبنان، مصدر سابق، ص228)



صورة رقم (1) توضح انعطاف النيل عند الدفار  
(تصوير الباحث)

أما عن معنى ودلالات كلمة الدُّفَار تقول رواية أن أصل كلمة دُفار يرجع إلى دفر ، يدفر، بمعنى دفع، وأهل المنطقة كانوا أهل خير وكرامات ومُكرّمات يدفعون الشر ويجلبون الخير<sup>(4)</sup>، ويشير عون الشريف قاسم إلى أن المنطقة كانت مملوءة بقش الدفرة ولذلك سميت بها، وقيل إن الدُّفار من وادي دفر الذي منحهم إياه آخر ملوك النوبة ويقصد هنا فرع من فروع البديرية عرفوا بقبائل الدفار<sup>(5)</sup>؛ ولكننا لا نعلم المقصود بأخر ملوك النوبة، وما هو اسمه، وفترة حكمه؟. وفي إفادة للهادي كشكش ذكر «حسب مقولة جدي روقيه الملك أن الملوكية بدأت في الدُّفار، والدُّفار تعنى القصر العتيق، يعنى أنها أنشئت قبل دنقلا العجوز، والدُّفار مقدسة على حسب رواية جدي...»<sup>(6)</sup> هذه الإفادة مهمة لأنها تكشف لنا عن جانبين الأول: الأهمية الدينية للدُّفار والتي ربما تعود لأزمان سابقة للمسيحية فقد أورد نعوم شقير: «... ويزعم

أهل دنقلة إنها بلدة مُرود بن كنعان ...»<sup>(7)</sup> أو في الفترة المسيحية لوجود كنيسة في الموقع كما أشارت الدراسات الأثرية، وكذلك يمكن أن ينطبق هذا الوصف على الفترة الإسلامية لأنها كانت تمثل أحد أهم المراكز الدينية التعليمية - كما سنشير لاحقاً - أما الجانب الثاني: هو تفسير اسم الدُّفَار بالقصر العتيق، ومعلوم إن كلمة دُف في اللغة المحسية النوبية تعنى حصن، ودب في الدنقلوية النوبية تعنى قصر أو حصن وآر أو مار تعنى مكان محدد أو مركز، مع ملاحظة ظاهرة إقلاب حرف الميم الى الباء بين اللغتين - ويؤكد هذا المعنى البيئة الأثرية التي الموجودة وهي حصن الكبير في موقع الدُّقَار. من جانب آخر هناك معنى مقارب للمعنى الذي ناقشناه، وهو أن كلمة دُّفَار في اللغة الأمهرية (الحبشية) تعنى الرجل القوي والشجاع أو القوى<sup>(8)</sup>، ونحن لا نستبعد هذا التفسير لوجود إشارة وردت في موسوعة وكبيديا تقول أن: «البديرية...من جزيرة العرب من المجموعة الجعلية ... تعلم قسم منهم الزراعة وأمتنها .. أما القسم الذي تعلم الزراعة فقد سار بمحاذاة النيل حتى وصل عاصمة مملكة النوبة دنقلا العجوز وساروا جنوباً إلى منطقة تنجسي (تنقسي) التي كانت تسكنها مجموعات حبشية كانت تناوش ملك النوبة في فترات متقطعة ومتباعدة حسب الظروف السائدة من قوة الملك الحروب التي يخوضها أو قوته، استطاعت هذه المجموعة أن تطرد الأقباش وتسكن المنطقة...»<sup>(9)</sup>.

هذه الرواية رغم ضعف مصدرها إلا أنها قد تلقى بظلال من الحقيقة حول الوجود الأكسومي في السودان وادي النيل بعد انهيار مملكة مروى في القرن الرابع الميلادي وأن هنالك العديد من الشواهد التاريخية تشير الي أن الأسرة الملكية لمملكة المقرة ربما ترجع للأصل الأكسومي الحميري<sup>(10)</sup>.

## 1 - 2 موقع الدُّفَار الأثري:

أشار نعوم شقير في كتابه جغرافية وتاريخ السودان:«... الدُّفَار عن يمين النيل وتبعد نحو 9 أميال عن أبي دوم قشاي ... وفي الدُّفَار قلعة قديمة وكنيسة من بقايا نصارى النوبة<sup>(11)</sup>»، أما إفادات ووصف بعض الرحالة الأوربيين للدُّفَار فقد قام العباس عبد العال حمور بجمع معظمها وترجمتها بطريقة مرتبة أغنتنا - قد تكون كافية - نوردها فيما يلي: « الدُّفَار: آخر مقاطعات دنقلا وتبعد أربعة عشر ميلاً إلى الشرق من أبكور في الضفة اليمنى (الشمالية) نفسها، ولا يظهر الاسم في الخريطة الحديثة، لكن الموقع معلم ببقايا كنيسة مسجلة إلى الغرب مباشرةً من جزيرة قيقر نارقي (عند لينان قيانقا - آرتي، وعند كايو قويدرنارقي)، ولاحظ لبيوس الكنيسة وأطلال قلعة، ويصف وادنجتون الأخيرة «مدينة ذات موقع جيد دمرها الشايقية» ووصفها كايو قرية مدمرة تبعد خمسين خطوة عن النيل على ربوة عالية وبنيت كلياً من

حجارة خشنة من الجبل، ومحاطة بجدار لازال باقياً منه بقايا أبراج مستديرة بها فرجات، وتوجد بداخلها بئر حفرت في صخر رملي وبنيت، ويبلغ عمقها خمسة وخمسين قدماً، غالباً من صنع «الأقدمين» السابقين للمسلمين، يرقد على الأرض عمود من الجرانيت طوله ثلاثة أمتار زخرف تاجه (غير المكتمل بصليب إغريقي) قارن التاج من سوبا، لاشك إنها دُفار التي جاء وصفها عند لينان في يومياته (30 سبتمبر 1821) والتي رسم مخططاً رائعاً لها (لوحة رقم 1) قال عنه أطلال قرية جميلة صغيرة على فط أبكور... خارج المجمع كان هناك عمود ساقط من جرانيت باهت، بالقرب من شجرة دوم جميلة، (يظهر المخطط العمود خلف جذع نخلة الدوم). وبالقرب جبانة إسلامية مع حجارة عند الرأس والقدمين من المرمر، لكن بدون نقش، يتضح من المخطط أن القلعة كانت على تل منحدر من الشمالية بحدة إلى النيل في الجنوب، وفي قاع المنحدر شكلت جلاميد صخر ضخمة رصت في صف (بين الناس والمركب) خليجاً صغيراً، فيما وراء ذلك الجدار الغربي لساحة القلعة التي يبدو أنها احتفظت ببقايا أبراج مستطيلة، في الجانب الشرقي، إلى اليمين من نخلة الدوم مبنى منعزل ممتد بغير انتظام ويحتمل إنه كان دفاعات عن المدخل بوابة القلعة يمكن رؤيتها بين برج مستدير في الركن الشرقي ومبنى ذي فتحات في الغرب. في منتصف الجدار الشرقي للقلعة يوجد برج مستدير ضيق به فتحتان إحدهما فوق الأخرى بين الجدار الشرقي والجزء شديد الانحدار للجانب الشرقي يوجد رصيف أو سطح ضيق يتجمع فيه المدافعون لصد هجوم على المدخل الرئيس. في البعد، غالباً في الأركان الثلاثة الأخرى. يوجد ما يمكن أن يكون أبراجاً مثلثة<sup>(12)</sup>.



لوحة رقم (1): حصن الدفار

( لينان، مصدر سابق، ص 203 )

ومن الدراسات الأثرية التي تمت لموقع الدُّفَار المسح الأثري لقطاع جنوب دنقلا (موسم 1998م) حيث تم وصف الموقع بأنه تعرض لدمار كبير خلال المائة وخمسون عاماً الماضية، وأن الحصن حقل كبير من الحطام؛ وهو عبارة عن ركام من الحجارة والطين والرمال لا شكل واضح له تمتد بطول 250 متر على ضفة النيل، ورغم ذلك مازال في المكان موقع كنيسة مع بعض قوائم أعمدة جرانيتية، وبقايا تاج جرانيتي في الجوار وتاج عمود على بعد مائة متر، ويضم الموقع بعض البيوت الحديثة<sup>(13)</sup>، أما دراسة الفخاريات في الموقع خلصت إليه أنه كان يمثل أحد مواقع الفترة المبكرة لمملكة المقرة وكانت مأهولة بالسكان في بداية العهد المسيحي وأواخره وفي العصر الإسلامي، وتقتصر الدراسة أن سكان العهد الإسلامي تحركوا بكثافة نحو المواقع المسيحية الأولى<sup>(14)</sup> (صور رقم 2\_3\_4).



صورة رقم (2) توضح ملامح من موقع الدُّفَار  
(تصوير الباحث)



صورة رقم (3) توضح أنية فخارية ما زالت بصورة جيدة من الموقع  
(تصوير الباحث)



صورة رقم (4) توضح عمود الجرانيت المذكور  
(تصوير الباحث)

وفي مسح أثري حديث لنفس الموقع (2014م) ورد: كان يوجد به آثار مسجد أولاد جابر الذين انتشرت خلاويهم في هذه المنطقة وفي الأراك ولكن حالياً لا يوجد آثار لبقايا هذا المسجد، وعلى حسب ما ورد في الروايات الشفاهية لسكان المنطقة فإن مكان المسجد كان على النيل ويوجد في مكانه حالياً شجر دوم غزير ويقال إن قبابهم في الكاسنجر؛ وكذلك يوجد في الموقع بقايا منزل قديم به صبة من الحجر الرملي في أعلى البوابة يظهر عليها تاريخ قديم (1348م)، وهذا التاريخ قد يشير إلى بداية الاستيطان الإسلامي في موقع الدُّفَار<sup>(15)</sup>. وتم مسح أثري آخر لنفس الموقع عام (2017م) أشار إلى أن المسجد المذكور بزواياه الخمس ما زال آثاره باقية حتى الآن، وهو مبنى من الطوب اللبن والطين في اتجاه شمال جنوب بطول 13 متر وعرض 4 متر ومن المعالم المرتبطة بهذا المسجد - والمشهور بجامعة أولاد جابر -، وذكرت في معظم المسوح الأثرية دومة أولاد جابر، وهي شجرة دوم كبيرة موجودة بالقرب من النيل، وتشير الروايات الشفاهية أن هذه الدومة نمت بماء وضوء الحيران (طلاب العلم) بالقرب من المسجد من ناحية الغرب قبالة النيل، وعليه فإن موقع الدومة هو مكان وضوء الحيران<sup>(16)</sup>، وقد شاهد الباحث أساسيات هذا المسجد، وشجرة الدوم، وهي ما زالت شامخة ومخضرة بالقرب من النيل تفصلها عنه بضع أمتار وشرقها مباشرة آثار المسجد ثم القلعة الأثرية<sup>(17)</sup> (صور رقم 5\_6).



صورة رقم (5) توضح شجرة الدوم بالقرب من النيل  
(تصوير الباحث)



صورة رقم (6) توضح أساسات مسجد أولاد جابر شرق شجرة الدوم  
(تصوير الباحث)

ومن المواقع الإسلامية المهمة مدافن سلمان ود ضياب وتقع جنوب القلعة، وتوجد على كل قبر شواهد من الحجارة، وبالقرب من هذه المدافن توجد مدافن للأطفال ومقابر مسيحية، ومن المواقع الأخرى توجد عدة بنايا - وهي مشهورة في الثقافة السودانية ومفردتها بنية وهي عبارة عن غرفة صغيرة قصيرة وغير معروشة بنى فوق قبر رجال الدين المؤثرين - وهذه البنايا متناثرة شمال غرب القلعة الأثرية والمساكن الحالية، وهي بنايا شيخ حرنان، شيخ، منور، وعثمان ود سكارا، وما تزال هذه البنايا بصورة جيدة، ما عدا واحدة بها جزء مهدم، وقد استخدم في بناء البنايا المذكورة الحجر الرملي بمداخل في وسط المبنى في اتجاه الشرق، ومن المعالم الإسلامية أيضاً قبة الشيخ أمببكر وتقع جنوب القلعة وتبعد قليلاً عن المساكن، وتذكر الروايات أن هذه المواقع الإسلامية تعتبر مزارات دينية لسكان المنطقة وخاصة البنايا<sup>(18)</sup>، عموماً فإن هذه المواقع تحتاج لوصف أكثر تفصيلاً ودراسة موسعة .

### خاتمة:

من خلال هذا الفصل التمهيدي الذي قدمنا فيه ملامح عامة عن جغرافية منطقة الدُّفَار وعرض للمسوح الأثرية ولوصف الرحالة متخذين من موقع الدُّفَار الأثري موضوعاً للدراسة، رغم تعدد المواقع الأثرية \_ بإعتباره مركزاً للكيان السياسي الذي قام بعد إضمحلال مملكة المقرة ، ولأن ماينطبق على المركز ينطبق على باقي المناطق بصورة ربما تكون مماثلة، خلصنا الي أن منطقة الدفار تتميز بموقع جغرافي إستراتيجي ربط بين الجهات الأربعة مما أهلها لتكون مركزاً للتفاعل الحضاري والاجتماعي والثقافي . أما موقع الدفار الأثري فكشفت لنا الدراسة أنه كان مركز مهما من مراكز مملكة المقرة المسيحية وربما من أقدمها كما أوضحت لنا اللقي الأثرية أن هذا الموقع من المراكز الأولى التي تأثرت بالمد الإسلامي العربي .

## حواشي وهوامش الفصل الأول :

- (1) نعوم شقير، جغرافية وتاريخ السودان، تقديم: فدوى عبد الرحمن على طه، (الخرطوم: دار عزة للنشر والتوزيع، 2007م) ص 102.
- (2) لينان دوبلفون، يوميات رحلة إلى مروى في سنتي 1821 1822- م ترجمة: فضل الله إسماعيل على، (الخرطوم: جامعة السودان المفتوحة 2010 م)
- (3) العباس عبد العال حمور، دنقلا العجوز، عاصمة السودان في زمن الحضارة النوبية والمسيحية والإسلامية (الخرطوم، 2008م)، ص 29-30.
- (4) محمد الحسن عبد الصمد، «مملكة الدفار: التاريخ والآثار العلمية والثقافية والاجتماعية والدعوية»، محاضرة بتاريخ 2012/6/24م.
- (5) عون الشريف قاسم، موسوعة القبائل والأنساب في السودان وأشهر أسماء الأعلام والأماكن، ج 2، (الخرطوم 1996م)، ص 865-866.
- (6) عينات من عمق تاريخ السودان، الحلقة الأولى (ملوك المقرة)، موقع السلالات العربية على صفحات الانترنت ..
- (7) نعوم شقير، المرجع السابق، ص 102.
- (8) نزار النور على سليمان باحث وأكاديمي، 65 عاماً، مقابلة، مكتبة وزارة التعليم العالي، الخرطوم بتاريخ 2016/10/31م
- (9) موقع موسوعة وكيبديا، شبكة الانترنت.
- (10) عوض شيبا، الأصل الأكسومي الحميري للأسرة الملكية في مملكة المقرة، (رؤية نقدية تحليلية)، مجلة القلزم العلمية، ع 2، يونيو 2020م، ص 62\_76.
- (11) نعوم شقير، المرجع السابق، ص 102.
- (12) العباس عبد العال حمور، المرجع السابق، ص 29-30.
- (13) B. Zwawzki. The southern Dongola Reach survey: the first season (1998). Nubian Studies. Boston 1998, pp. 472 – 484.
- (14) J. Philips: The southern Dongola Reach survey, The first season (1998): A review of the Ceramics and other finds. Nubian Studies. Boston 1998, pp. 371 – 383.

- (15) فاطمة على عبد الرحيم نصر، الآثار والتاريخ والتراث في منصور كتي، بحث تكميلي لنيل درجة البكالوريوس، مرتبة الشرف، قسم الآثار، كلية الآداب جامعة الخرطوم 2014، ص 24-26.
- (16) سوسن حسين حماد، آثار مملكة الدُّفَار، بحث تخرج لنيل مرتبة الشرف، بكالوريوس، قسم الآثار، كلية الآداب، جامعة الخرطوم، 2017م، ص 36.
- (17) زيارة للباحث لمنطقة الدُّفَار ضمن الرحلة العلمية لجامعة أفريقيا العالمية، (2017م).
- (18) سوسن حماد، المرجع السابق، ص 37-38.

## الفصل الثاني

# ملاح من تاريخ منطقة الدُّفَّار قبل الإسلام



## الفصل الثاني ملاح من تاريخ منطقة الدُفَّار قبل الإسلام

نحاول في هذا الفصل أن نرسم لوحة تاريخية لمنطقة الدُفَّار قبل الفترة الإسلامية وذلك من وحي المعلومات الشحيحة عنها والمتضاربة أحياناً، واستصحبنا معنا أيضاً الواقع الاجتماعي والثقافي لإكمال إطار هذه اللوحة حتى نتعرف على الأهمية التاريخية للدُفَّار، وجذورها الحضارية الضاربة في القدم ومظاهر استمراريتها خلال هذه الفترات.

ومن الفرضيات التاريخية ذات الصلة بتاريخ الدُفَّار التي يناقشها هذا الفصل موضوع جعل الدُفَّار، وهذه الفرضية قد تثير نوعاً من اللغط والنقد لدى الكثيرين في أسوأ حالاتها، وقد تطرح تساؤلات جديدة حول تاريخ المنطقة وقراءتها من زوايا مختلفة - كما أشرنا في المقدمة - في أفضل حالاتها، وفي كِلتا الحالتين نكون قد وفقنا في الخروج من تأطير تاريخ المنطقة في قالب واحد.

### 2 - 1 الأهمية التاريخية للدُفَّار:

إن حديثنا عن تاريخ منطقة الدُفَّار لا يتعدى تقديم بعض الملاحظات الأولية أو فرضيات تاريخية مبدئية قابلة للنقاش والتحليل، متى ما توفرت معلومات جديدة، وخاصة أن الحفريات الأثرية في بداياتها إلا أن مؤشراتنا تدل على الجذور التاريخية الضاربة في القدم للمنطقة بعد إكتشاف البعثة البولندية الأثرية التابعة لمتحف بوزنان التي تعمل في منطقة العفّاض لإحدى أقدم المستوطنات البشرية في العالم ويعود تاريخها إلى حوالي 70,000 سنة<sup>(1)</sup>.

من جانب آخر فإن الصورة الذهنية المكونة - لدى الباحث - عن منطقة الدُفَّار من خلال زيارته للمنطقة، أنها كانت من المراكز الدينية القديمة والمهمة في السودان وادي النيل - وما زال دورها الديني مستمراً - حيث تقول المرويّات الشفاهية أن منطقة الدُفَّار كانت مسرحاً لأحداث سيدنا إبراهيم الخليل مع النمروذ بن كنعان، كما أن سكان المنطقة - تحديداً جقرنارتي - ما زالوا عند اكتمال القمر في كل شهر يحتفلون بهذه المناسبة بتقديم بعض القرابين وإقامة وليمة عشاء مكونها الأساسي اللبن حيث يجتمع سكان المنطقة أو الأسرة لتناول هذه الوليمة، وهذه العادة أو الإحتفائية ليست محصورة فقط في الذين يسكنون المنطقة حالياً لأنها تمارس أيضاً عدد سكان مدينة الخرطوم الذين ترتبط جذورهم بمنطقة جقرنارتي حيث يجتمعون

دوراً لهذه المناسبة في أحد منازلهم بالتنسيق مع بعضهم لإقامة هذه الشعائر ذات الأبعاد الدينية القديمة المرتبطة بعبادة الكواكب<sup>(2)</sup>. وكذلك يزعم البعض أن أعظم حضارات الدنيا وأقدمها قد نشأت في هذه المنطقة ويُعْضِدُونَ هذا الزعم بأنه وحتى وقت قريب كان كبار السن من النساء يتحدثن عن يوم الزينة التي ورد ذكره في القرآن الكريم في إطار الصراع بين الفرعون والسحرة<sup>(3)</sup> ونضيف هنا أن أحد رجال الدين المشهورين - في منطقة تنقسي - يلقب بكندمر وهي كلمة دنقلاوية نوبية تعني قاطع الساق ، وكانت المحاكم الأهلية - في فترة الإدارة الأهلية - تستخدم اسم كندمر كصيغة للقسم، ويربط البعض بين هذا اللقب وبين سحرة فرعون الذين آمنوا برب موسى فعاقبهم فرعون بتقطيع أيديهم وأرجلهم وصلبهم، وعموماً فإن الموروث الثقافي في منطقة الدراسة يذخر بالكثير من الروايات المرتبطة بالديانات السماوية والمعتقدات الوثنية القديمة - ليس هنا مكان حصرها - تعطي في مجملها بعداً دينياً عظيماً للمنطقة.

هذا وقد لعبت منطقة الدُّفَار دوراً مهماً في تاريخ السودان الوسيط (500-1500م) في فترتيها المبكرة - ونعني بها بدايات تكوين الممالك النوبية المسيحية -، والمتأخرة - ونعني بها فترة تفكك وإضمحلال هذه الممالك - وسنناقش ملامح هذا الدور من خلال فرضية تاريخية بعنوان جعل الدُّفَار.

### 2- جعل الدُّفَار:

ورد مسمى جعل الدُّفَار في المرويَّات الشفاهية ، وكذلك وردت عبارة «ملوك الدفار» ، و«ضنقلة الدفار» و« جعل الدفار» في كتاب الطبقات لابن ضيف الله وفي مخطوط خلاصة الإقتباس لمؤلفه أحمد بن أسماعيل الأزهري ؛ وتحمل عبارة «جعل الدفار» في هذا المخطوط مضامين سيادية وحق في الحكم والملك لهذه المجموعة - أحفاد الملك موسي(مسوا) الكبير-تميزهم عن البديرية (22) ( راجع الفصل الثاني)، فما أصل هذه الكلمة ؟، وما هي دلالاتها التاريخية والاجتماعية؟ المشهور لدى الكتاب السودانين وخاصة المهتمين بالأنساب أن الجعليين أهم من أكبر المجموعات العربية في السودان الشمالي والتي تنتسب للعباس بن عبد المطلب، ولكن هذا النسب وجد كثيراً من النقد من عدد كبير من الباحثين - سنناقش هذا الموضوع عند حديثنا عن أصول البديرية - ولكننا نكتفي هنا بما كتبه أشهر الكتاب الذين أهتموا بتاريخ العرب في السودان وقبائله وهو ماكمايل (H. A. Mac Micheal) حيث يقول عن الجعليين: « هم من ضمن المجموعات الرئيسية المعروفة التي ينتمي لها العرب في

السودان، بالأخص لدى النسابة من الأهالي، والأكثر عدداً وانتشاراً، وفي نفس الوقت هم أكثر القبائل إنفراطاً في حبل عقدها. السمة المميّزة لتلك المجموعات المصنّفة تحت هذا المسمى والتي لا يمكن أن تسمى قبيلة، هو إدعاؤهم التحدر من العباس عم النبي (ص)، حتى أن كلمة جعلي أصبحت بمدلولها الشامل مرادفة لـ (العباسي) وأستعارتها مختلف العوائل من الحبشة حتى بحيرة تشاد حيث يعتبرون أنفسهم أو على الأقل يتظاهرون كما لو كان العباس جد لهم لا يتفقد إدعاء الجعليين لهذا النسب للدليل فقط بل أن المصدر الأصلي لأسمهم - كما أرتضاه حاملوه - يشير بوجه كافٍ لخوائه ورواج الإعجاب به.

يقال إن إبراهيم حفيد العباس، فرّج كربة الناس في زمن المجاعة بكرمه وأحسانه، لذلك أطلق عليه - من أفادوا من إحسانه- اسم جعل، لأنه كان يتقبلهم بقوله (جعلناكم) وهكذا تحلّق حوله الكثير من الأتباع.

تدعى مجموعة القبائل الجعلية بشكل تلقائي التحدر نسباً من إبراهيم السابق ذكره، إلا إن الواضح إن الرواية لا تعدو - حتى هذا القدر - من أن تكون مجرد خيال، بحيث لا يتجاوز واقعة انطواء هذا التجمّع على أخلاط من قبائل شتى خلف رجل واحد يدعى الانتساب لبني العباس.

إن عبارة (جعليين) بمفهومها النسبي المبهم لا تزال منطبقة على معظم القبائل النوبية في الشمال مثل الجوابرة والبديرية ثم على الشايقية أيضاً والبطاحين والجماعة وبديرية كردفان وكثيرين غيرهم. ويتغلغل الجنس الجعلي جنوباً وغرباً، أوجد هذا الواقع مبرراً للهمج في سنار للإدعاء بأن أجدادهم من الجعليين الذين اتخذوا زوجات سوداوات من جبال البرن. كما نتج عن هذا التغلغل إدعاءات بالقرابة الحميمة بين الجعليين وحكام تقلي ودارفور وودّاي وبرنو...»<sup>(4)</sup>.

إن هذا التشكيك الذي طرحه ماكمايكل حول مدلول مسمّى جعليين يجعلنا نبحث عن مصطلح جعل خارج إطار التقسيم القبلي العربي ولعل من أولى الإشارات لجعل كمصطلح يحمل مضمون لكيان سياسي ورد في إطار الصراع بين العنج الذين سيطروا على الأوضاع السياسية في مملكة علوة ومركزوا في العاصمة سوبا وامتد نفوذهم شمالاً حتى الشلال الرابع، وذلك في القرن الرابع عشر الميلادي<sup>(5)</sup>، وتصدت لهم مجموعة عرفت بالجعل فقد أورد صاحب مخطوطة النبر: «... أتت عليهم قبيلة جعل .. وتغلبوا على ملك العنج بالظفر .. وطردهم من تلك الديار .. وأتتهم الفونج واستولت على جميع البلاد .. وأذعنّت لهم القبائل بالطاعة. وصارت جعل عندهم

من جملة الرعية ولكن لهم المزية على غيرهم فولوهم فيما هم فيه من البلاد...»<sup>(6)</sup>، وكذلك أورد الرحالة رويني في الربع الأول من القرن السادس عشر الميلادي أفادة مهمة وهي: «مملكة جعل والتي تتبع لمملكة سوبا وهي تحت حكم عمارة...»<sup>(7)</sup>. رغم أن هذه الإفادة فيها الكثير من الغموض إلا أنها تلقى ضوءاً خافتاً على وجود مملكة باسم جعل، ولكن، من هم هؤلاء الجعل أو أين مقر مملكتهم؟ لا نملك معلومات وافية للإجابة على هذين السؤالين ولكننا نحاول أن نربط بعض الإفادات ببعضها علنا نفلح في أن نقدم تصوراً مبدئياً قابلاً للنقاش لفترة مهمة وغامضة من تاريخ السودان وهي فترة التحولات السياسية والاجتماعية التي تلت تدهور وإنهيار الممالك النوبية المسيحية، ومدخلنا هو معنى ودلالات اسم جعل \_ وليس الجعليين \_، ونعتقد أن أصل هذا الاسم نوبي بإعتبار أن اللغة السائدة في تلك الفترة وتلك المنطقة كانت هي اللغة الدنقلوية النوبية وكلمة جال (Gal) - ونطق حرف الألف أقرب إلى العين في اللغة الدنقلوية، وتعني الثائر أو الذي يرفع صوته عالياً من الغضب، وربما يكون هذا التعريف متسقاً مع الأحداث السياسية حيث واجه العنج رفضاً شعبياً تبلور في الثورة ضدهم، أما من هم هؤلاء الجعل فقد برزت عدة آراء حول هذا الموضوع لكن مجمل هذه الآراء تشير إلى أن أصولهم نوبية ويقال أنهم رقيق النوبة<sup>(8)</sup>، وفي التراث الشعبي لقبيلة المناصر بولاية نهر النيل - كما أفادت فاطمة أحمد على \_ أن من أشهر حكامهم الملك السوكري وهو من الجعل، وقتله آل قمر بمساعدة الفونج في ثورة المناصر الشهيرة ضد حكم أسرة السواكرة، التي ترجع أصولها إلى رقيق النوبة، وفي رواية أخرى أن السواكرة ينتسبون للجعل وهم نوبة الشمال<sup>(9)</sup>، من خلال هذه الرواية يتضح لنا أن الذاكرة الشعبية ما زالت حُبلَى بالكثير من المروييات عن الجعل والملاحظ أن معظم ملوك وزعماء خلفاء مملكة المقرة نجد في سلسلة نسبهم اسم أو لقب جعل (جعلي)، وتستوقفني في هذه الروايات أيضاً اسم السواكرة للربط بينها واسم جعل لأنها قد تلقى بعض الضؤ حول هذا الموضوع \_ اسم جعل \_، فقد ورد هذا الاسم أو اللقب في بلاط مملكة المقرة مثلاً جاء في سيرة ملك دنقلا سمامون (1288م - 1293م): الذي كان يحاول الوصول إلى عرش المملكة بعد أن عُزل .. واستمال إليه السواكرة...»<sup>(10)</sup>، مما يشير إلى أن السواكرة تمثل طبقة مهمة في البلاط الملكي، وهذه الإشارة قد تدعم الروايات التي تقول بالأصل النوبي للجعل، ولعله من الضروري أن نورد هنا ما ذكره أحمد الياس عن السواكرة ودورهم في فترة السلطنة السنارية (1504\_1821م) « أما في مملكة سنار فقد كان الأمراء أيضاً يعزلون في قصر خاص بهم

في العاصمة ومعهم أبناء حكام الولايات الذين سيرثون حكم ولايات آبائهم. وكانو يتلقون التعليم والتدريب العسكري خلال إقامتهم ، وكان المشرفون عليهم يعرفون بالسواكرة وعلى رأسهم مقدم السواكرة ، ومما يدل على تواصل المؤسسات الإدارية السنارية بالفترة السابقة لدولتهم أن الأمراء في دولة (مملكة) مقرة التي كان عاصمتها في دنقلة كانوا يعرفون بالسواكرة ، ومما يؤكد تواصل الماضي بالحاضر إن اسم السواكرة لازال يعيش حتى الآن . واسم بعض الأسر وربما قبيلة في الشمالية وربما في مناطق أخرى في السودان ...»<sup>(11)</sup> ، نلتقط هذه المعلومات التي تتحدث عن العلاقة بين الجعل والسواكرة سادة المناصير ونربطها بأخرى ذات صلة بقبيلة المناصير حيث يقول ماكمايكل أن هناك هجرة لمجموعة من المناصير تمت قبل قرنين من الزمان إلى دارفور واستقروا حول سانية كرو وتولو وجبل حلة وتسموا باسم مناصرة<sup>(12)</sup> ، ويورد في موقع آخر ضمن حديثه عن فروع مجموعة الغديات أن المقابضة إحدى فروعها وأن أصلهم من البديرية، ويضيف إن اسم مقابضة لا يتضمن معنى محدداً، ويظهر في النسبة كقبيلة جعلية ذات قرني بالمناصرة<sup>(13)</sup> ، ونجد أن المقابضة أو المقابدة اسم لمجموعة سكانية تقطن منطقة الدقار وتعتبر من سكان الدقار الأصليين - وهذا الموضوع قد أفردنا له الفصل الثالث هذه الدراسة -، ونخلص من الإشارات السابقة إلى أنه من الراجح - عند الكاتب - أن مسمى جعل تطلق على مجموعة سكانية واسعة الانتشار ترجع في أصولها للنوبيين، وأن لهم صلة بمنطقة الدقار، ولكن من الصعب تحديد إطار جغرافي للجعل في الإقليم النيلي، فقد أورد روبيني أن مملكة الجعل تقع شمال سوبا بمسيرة عشرة أيام، ويمكن تحديد مسافة تقديرية لمسيرة اليوم بواقع 30 كلم في المتوسط ولكننا لا ندري ماذا يعني تحديداً بقوله هل يعني مركز مملكة الجعل أم بداية المملكة، من جانب آخر فقد ورد في الأدب الشعبي لإحدى العائلات النوبية - من منطقة المقاوذة - ذات الصلة بمنطقة الدقار بيتاً شعرياً - فيما يعرف بأغنية السيرة ما يشير إلى أن مصطلح جعل أطلق للدلالة على مجموعات منهم المقابدة (المقاوذة) الشايقية ، وربما هي المجموعات التي ثارت ضد العنج ، وأن هذه المجموعات لها صلة بمنطقة الدقار (راجع الفصل الرابع)، وهنا يطراً تساؤل مهم لماذا يتردد اسم الدقار كمكان مع اسم الجعل؟ وهل الدقار كان مركز لهؤلاء الجعل (الثوار)؟ وما هي أهمية هذه المنطقة حتى تتبوا هذه المكانة العظيمة والمهمة عند الثوار (الجعل)؟. من المعلوم من خلال استعراضنا للدراسات الأثرية التي أجريت في موقع الدقار أنها كانت إحدى المراكز المهمة لمكة المقرة المسيحية، وهناك روايات تذهب

للقول بأن مركز الدُّقَّار أقدم من مركز دنقلا (العجوز)، وأن بداية تكوين المملكة بدأت من الدُّقَّار (أشرنا إليها)، وهذا يقودنا إلى الحديث الكيفية التي قامت بها مملكة المقرة وعن سبب إتخاذها لدنقلا (العجوز) \_ القرية من الدفار\_ عاصمة للمملكة ، وأين كان مركز تجمع الأسرة الملكية والمجموعة التي نجحت في إقامة هذه المملكة<sup>(32)</sup>؟ ونضيف هنا تساؤلاً آخرًا قد يصب في خانة الإجابة، هل يمكننا القول مبدئياً بأن مركز التجمع الأول كان في الدُّقَّار من خلال المرويَّات الشفاهية ودلالات اسم الدُّقَّار؟ ثم كان مركزاً لتجمع الثوار - جعل الدُّقَّار - لاستعادة ملك آبائهم وأجدادهم لتكون الدُّقَّار بأبعادها التاريخية والدينية مقراً لبداية المملكة وملمها لانطلاقة الثورة الثانية لإحياءها.

### خاتمة:

قلنا أن هذا الفصل عبارة طرح فرضية تاريخية قابلة للنقاش ، وأشرنا فيه للأهمية التاريخية لمنطقة الدفار عبر الحقب التاريخية المختلفة التي مرت بها ، ويبدو أن المنطقة كانت إحدى المراكز الدينية القديمة والمهمة، ثم تناولنا الدور المهم الذي لعبته المنطقة في تاريخ السودان الوسيط في فترة قيام وتكوين مملكة المقرة وعاصمتها دنقلا (العجوز) في القرن السادس الميلاد، وانها ساهمت بفعالية في قيام هذه المملكة، وكذلك ربما كان لها دور في محاولة إحيائها وإستعادة دورها القديم بعد فترة تدهور هذه المملكة مع بدايات القرن الرابع عشر الميلادي وقدمنا لتوضيح هذا الدور أطروحة عن ثوار الدُّقَّار الذين عرفوا بجعل الدُّقَّار، ويمكن أن تتضح الصورة أكثر حول هذا الموضوع عند قراءتنا للفصل الرابع الذي يتحدث عن المكونات الاجتماعية والتحركات السكانية في المنطقة.

## حواشي وهوامش الفصل الثاني:

- (9) الأمين عثمان شعيب الحاج، « لمحة تاريخية عن مملكة الدفار الإسلامية»، جامعة إفريقيا العالمية، 2017م، ص 4.
- (2) حسن بابكر عبد الحفيظ، مقابلة بمنزله بالعمارات، الخرطوم، بروفيسير في علم النفس، مهتم بتاريخ منطقة الدفار، 80 عام تقريباً، بتاريخ 2017/5/7م.
- (3) عبد الصمد، مرجع سابق، ص 2.
- (4) أحمد ابراهيم أبوشوك، العلماء والصالحون في الدفار: الكسب والعطاء، الكسب، مقال منشور في الانترنت، في صفحته في الفيس بوك.
- (5) هارولد، أ. مكمايكل، تاريخ العرب في السودان (بما فيهم الشعوب التي سبقتهم وسكان دارفور)، الكتاب الأول، تعريب: سيد محمد على ديدان، ط1، (أم درمان: مركز عبد الكريم ميرغني الثقافي، 2012م)، ص 237-238.
- (6) لمزيد من التفاصيل راجع: أحمد المعتصم الشيخ، مملكة الأبواب المسيحية وزمن العنج، (القاهرة: مركز الدراسات السودانية، 2002م).
- (7) أحمد بن المشهور بالنبر، كراس النسب المخطوط محفوظ ضمن وثائق العباسية، دار الوثائق القومية الخرطوم، نقلاً عن: أحمد المعتصم الشيخ، «حاشية ومستخلص من زيارة روبيني للسودان»، مقال غير منشور.
- (8) س. هيللسون، «داؤود روبيني من الأوائل لسنار»، السودان في رسائل ومدونات، ع15، 1933م، ترجمة: أحمد المعتصم الشيخ، مقال غير منشور، ص3.
- (9) فاطمة أحمد على، مقابلة بمنزلها، 60 عام تقريباً، باحثة في التأريخ والتراث، دكتوراه في تاريخ السودان الحديث، الحاج يوسف، الخرطوم، بتاريخ 2017/5/3م.
- (10) مصطفى محمد مسعد، الإسلام والنوبة في العصور الوسطى، بحث في تاريخ السودان وحضارته حتى أوائل القرن السادس عشر الميلادي، (الخرطوم: دار المصورات للنشر، 2011م)، ص 158.

(11) أحمد الياس ، موجز تاريخ وتراث المناطق المجاورة لأعالي النيل الأزرق قبل قيام مملكة الفونج، منقول من موقع سودانيل من الانترنت ( sudanile.com/index.ph ) .

(12) ماكمايكل ، المرجع السابق، ص 252.

(13) نفس المرجع ، ص 248.

## الفصل الثالث

# البيديرية وإمارة الدفار الإسلامية



## الفصل الثالث البيديرية وإمارة الدفار الإسلامية

ارتبط تاريخ منطقة الدفّار في المرويّات السودانية بمجموعة البيديرية دون المجموعات السكانية الأخرى التي تقطن المنطقة؛ وهذا أحد أسباب تركيز الدراسة على هذه المجموعة وذلك بالإشارة في هذا الفصل إلى أصلهم الجغرافي ونسبهم الاجتماعي كمحور أول، ومعلوم أن موضوع الأنساب من أكثر الموضوعات تعقيداً في الدراسات السودانية، وقد تناولنا جانباً من أصول البيديرية في كتابنا الأول - خلفاء مملكة المقرة - وسنقوم بإقتباسه هنا مع إضافة بعض الملاحظات الجديدة.

أما المحور الثاني: يتناول ملامح من التاريخ السياسي للبيديرية، ووجد هذا الموضوع حضوراً كبيراً في الفترة الأخيرة لدى الباحثين والمهتمين، وقدمت العديد من الأطروحات الجديدة حول تاريخ دخول البيديرية المنطقة، وتاريخ تأسيس ما يعرف بمملكة الدفّار، وسنحاول في هذا الفصل مناقشة هذه الآراء ومصادرها لنخرج برؤية جديدة عن تاريخ هذه الفترة من خلال تركيزنا على هذه المجموعة وتاريخ إمارة الدفّار الإسلامية وبيان مظاهر الاستمرارية الحضارية والثقافية وأبرز تحولاتها في إطار أطروحتنا حول خلفاء مملكة المقرة .

### 3-1 ملاحظات حول أصول البيديرية:

شهدت منطقة الدفّار - والسودان النيلي عموماً - خلال فترات التاريخ المتعاقبة هجرات بشرية عديدة غيرت إلى حدٍ ما من تركيبها العرقية والاجتماعية والثقافية، ومن أهمها الهجرات النوبية التي جاءت من الغرب ومن الجنوب الغربي والتي بدأت بصورة تدريجية منذ الفترة السابقة للقرن الثالث قبل الميلاد وتزايدت في القرون الأولى للميلاد واستقرت في المنطقة، وخاصة بعد سقوط مملكة مروى في القرن الرابع الميلادي، وبعد قيام مملكة المقرة وعاصمتها دنقلا (العجوز) المقرة في القرن السادس الميلادي، لم تتوقف المؤثرات العرقية والدينية الوافدة إلى المنطقة من حين لآخر حيث تعرضت المنطقة لتسرب الجماعات العربية المسلمة من مصر والتي حملت معها الثقافة الإسلامية العربية وتشكلت لاحقاً ما يُعرف بالمجموعات النوبية ومنهم الدناقلة<sup>(1)</sup>، المجاورون للبيديرية والمتداخلون معهم ثقافياً وإجتماعياً حتى تمازجوا وأصبح من الصعب التفريق بينهما خاصة في المناطق الجنوبية.

أما البديرية وهم من المجموعات الأكثر غموضاً من الناحية السلالية رغم دورهم الرائد في التعليم الديني في السودان ولهم موطنان، الأول في وادي النيل والثاني في كردفان<sup>(2)</sup>، وينتسبون إلى بدير بن سمرة بن سُرار، ويصنفون ضمن المجموعة الجعلية العباسية، وقد وجد هذا التصنيف رواجاً كبيراً عند بعض الباحثين وممن ينتمون لهذه المجموعة وأسسوا ما يعرف برابطة الأشراف العباسيون الهاشميون في السودان حديثاً<sup>(3)</sup>، إلا أن ظاهرة تبني أنساب عربية ترجع إلى الهاشميين (بيت النبوة) أو أسماء إسلامية مشهورة ترجع إلى العهد الإسلامي الأول واجهت انتقادات كبيرة من عدد من الباحثين حيث يقول سبنسر تريمنجهام<sup>(4)</sup> (Trimnghan): «إن مصطلح عرب الذي يستخدم في الوقت الحاضر في السودان كمصطلح إثني هو مصطلح غامض وأن العديد من القبائل النوبية والبجة الذين قمنا بدراساتهم بالإضافة إلى بعض القبائل الزنجية الخالصة مثل الفونج تدعى كلها السلالة العربية، ولا يمكن الوثوق في شجرة الأنساب بالمرة لأنها زائفة بشكل واضح، لذا فإن عربي اليوم قد يكون إفريقياً صرفاً بلا أثر للأصل العربي»، وكذلك أشار ل. كورباتشيك<sup>(5)</sup> إلى أن المصادر التي تتوافر لدينا لدراسة تاريخية للحركات الخاصة، التي أدت إلى تكوين سكان النوبة الشمالية ليس قابلة للاستخدام إلا بتحفظ كبير فهي مكونة أساساً من أساطير وروايات الأنساب لم تتخذ شكلها الراهن إلا مؤخراً، وقد تم الحفاظ على هذه الأنساب عن طريق النقل الشفوي أو في شكل مكتوب في بعض الأحيان بإعتبارها ممتلكات ذات قيمة كبرى، ويمكن إرجاع أصل بعض هذه الأنساب إلى فترات بعيدة للغاية من الماضي، إن المؤلف الأكثر شهرة لعدد كبير من الأنساب هو السمرقندي، وهو شخصية أسطورية نوعاً ما عاش في القرن السادس عشر للميلاد، وجمع كتاب الأنساب المتعلقة بالفونج، وكان هذا الكتاب يهدف إلى إقناع السلطان العثماني بشرعية وصحة النسب والتسلسل العربي الإسلامي للنوبيين وإقناعه بعدم وضع خطط معادية ضده، وقد جعل هذا الهدف نفسه كثيراً من الأنساب موضع شك ولا يستحق الثقة كثيراً.

ويرجع الباحثان أوفاهي (S.R.O,Fahey) وسبولدينق<sup>(6)</sup> (J. Spaulding) تبني السكان للأنساب العربية لأسباب إقتصادية وإجتماعية، ويعتقدان بأنه منذ القرن الثامن عشر الميلادي تمت شرائح تجارية جديدة متحالفة مع قيادات الصوفية وفئات من خريجي الأزهر الشريف وصار هذا التحالف نواة لطبقة وسطى سرعان ما خلقت لنفسها قاعدة سياسية وإقتصادية وأيدلوجية، وحتى تعزز هذه الطبقة وضعها في المجتمع تبنت أنساباً عربية وإسلامية معروفة وبارزة من صدر الإسلام وأخذت أشجار

النسب المزعومة تظهر تدريجياً وصارت سمة اجتماعية بارزة. ويضيف سمير محمد نقد<sup>(7)</sup> سبباً آخر لهذه الظاهرة وهو أن الظروف السياسية والاجتماعية في السودان في تلك الفترة كانت تجعل النسب الشريف إلى أهل البيت أو الشخصيات المؤثرة في بدايات الدعوة الإسلامية تعطي نوع من الحماية لأرواح وأموال السكان من هجمات القبائل فضلاً عن المكانة الدينية والاجتماعية التي يتمتعون بها بإدعائهم هذا النسب.

وبعد أن بينا الأسباب الموضوعية لظاهرة إدعاء الأنساب العربية فإننا نرجح رأي ك. باربر<sup>(8)</sup> الذي يقول: « إن البديرية ينتمون إلى السلالة النبوية رغم إدعائهم للنسب العربي»، وخاصة إن البديرية إرتبطوا بصورة كبيرة بالأحداث السياسية والاجتماعية والدينية بدنقلا عاصمة مملكة المقررة<sup>(9)</sup>، كما أنهم يتشابهون في تكوينهم الجسدي وأوانهم مع سكان المناطق الشمالية (الدناقلة) وفي عاداتهم وتقاليديهم، فضلاً عن أن كبار السن من البديرية كانوا يتحدثون اللغة النوبية الدنقلوية حتى وقت قريب، وكذلك تشير هذا الدراسة التي قام بها عبد المنعم حسن الملك عن دور قبيلة بني ربيعة في تاريخ السودان وذكر أن البديرية ينتمون إلى الكنوز<sup>(10)</sup>، وهم من المجموعات العربية التي تصاهرت مع ملوك دنقلا وتتوبت تدريجياً، وهم ينتسبون إلى عرب بني ربيعة وتمكّنوا من الوصول إلى سدة الحكم في دنقلا عام 1317م<sup>(11)</sup> وبهذا يكون البديرية قد جمعوا بين النسب النوبي والعربي.

وتجدر الإشارة هنا إلى بعض الملاحظات التي ربما تكون لها صلة بأصول البديرية منها أن قبائل الميري في جبال النوبة يطلقون على البديرية اسم بيدي أوري (Bidy Ory)، وتعني في اللغة العربية ملوك الماء، وهنالك رسم منحوت على جبل حرازة في شكل تمثال لرجل يعرف أيضاً عند الكوايب باسم بيدي كوبي (Bidy Koby)، وتعني في اللغة العربية ملك الماء<sup>(12)</sup>.

### 2-3 إمارة الدُّقَار الإسلاميّة:

اشتهر في الكثير من المدونات السودانية أن قيام أولى الكيانات السياسية الإسلامية كانت في الدُّقَار تحت مُسمّى مملكة البديرية في الدُّقَار، ونحن نستلهم هذا الاسم - مملكة البديرية في الدُّقَار - مع بعض التغيير ليكون عنوان هذا المبحث - إمارة الدُّقَار الإسلاميّة - لنناقش من خلاله أهم المصادر التي تناولت هذا الموضوع وهو كتاب « الصحاح التاريخية من العهود الدفارية » للإمام النشري، والمعلومات المفقودة عن الكتاب ومؤلفه حتى الآن - وقد بذلت جهداً مقدراً للحصول على هذا الكتاب وما زال البحث جارياً عنه - وسيكون اعتمادنا على ما نقله مختصراً السيد محمد بن علي العجيمي في كتابه المولد فقد أورد فيه فصلاً عن عدد خلفائهم وبيان أدوارهم بدفار دنقلا بالسودان نقتبسه هنا: « إن أول من بويع بالخلافة فيهم وهو السيد أحمد الحجازي سنة اثنين وسبعين بعد المائة ، وهو ابن السيد إبراهيم جعل ... ثم بويع من بعده والي عهده وخليفة محله ابنه السيد سراقه، ثم بويع من بعده والي عهده وخليفة محله ابنه سريان، ثم بويع من بعده والي عهده وخليفة محله ابنه السيد ابن أبي الديرس ثم بويع من بعده والي عهده وخليفة سجداته ابنه السيد كردم الذي صح أنه ملك عموم السودان من غير مشاكل، وقد كانت ولايته له هو وابنه السيد سرار مائة وأربعين سنة. وهو رضى الله عنه الأب الذي تفرع منه أبائنا العباسيين... ثم بويع من بعده (سرار) والي عهده وخليفة سجداته ابنه السيد سامر ، ثم بويع من بعده والي عهده وخليفة سجداته ابنه السيد بدير، فكان له أربعة أولاد ، ثلاثة منهم ذراريهم مفرقين بجهات الصعيد وخلافه، إلا أنّ ابنه الأصغر، السيد محمد دهمش ، فإنّ ذراريه ببحر دنقلا. ثم بويع هو، أي ابنه السيد محمد دهمش، من بعد أبيه، وكان والي عهده وخليفة سجداته. وقد سُمّي بهذا الاسم لقباً لأنه كان رضى الله تعالى عنه ذو جذبة رحمانية، ومن شدة سكره يتراءى كأنه يتلاشي في حركاته... أنه تزوج بنت السيد غلام الله الحسينى وولد منها والي عهده وخليفة سجداته الذي بويع من بعده وهو ابنه السيد صلاح الشهرير بسالا. وهي كلمة رطانة معناها صلاح، كان رضى الله عنه من الأولياء الكبار ، وقبره في القبة التي بقرب دنقلا يزار، وهو جد جميع السادة الدهمشية الذين بدنقلا والنازح القليل منهم إلى غيرها. قال صاحب اللامية:

ذو القبلة الحمرا بدنقلة تـرى      فرد الجلالة من حوى لهواطل  
 جد الدهامشة التي هي أهمهم      بنت غلام الله الحسيني بلا قلى  
 فحكي بها تاريخ دفار الذي      في سيرة الأنساب أحكم قائل

ثم بويع من بعده والي عهده وخليفة سجداته ابنه السيد محمد، ثم بويع من بويع ممن بعده خليفة سجداته ووالي عهده ابنه الملك موسى الأكبر، ثم بويع من بعده والي عهده وخليفة سجداته ابنه السيد صلاح، ثم بويع من بعده والي عهده وخليفة سجداته ابنه السيد أرباب نصر الله، ثم بويع من بعده والي عهده وخليفة سجداته ابنه السيد أبيض، ثم بويع من بعده والي عهده وخليفة سجداته ابنه السيد حماد، ثم بويع من بعده والي عهده وخليفة سجداته ابنه الملك موسى الأصغر، الأمين، ثم بويع من بعده والي عهده وخليفة سجداته ابنه الملك موسى الأصغر، وعلى المعتمد أنه كان له من الذرية خمسة أولاد السيد عايد، والسيد شاطر، والسيد سعد، والسيد أسد، والسيد حماد، الملقب بضريس، فكان أكبر أولاده ونائبه في مملكته. فلقب بهذا الاسم لأنه كان رضى الله تعالى عنه ذو شجاعة وكرم ظاهرة وصلاح باهر فاسم التصغير له به لصغر سنه كما يقال في الكبير ضرس، وفي أيامه تلاشت دولتهم العباسية رحمها الله تعالى. وذلك في القرن التاسع، وما بقى إلا علم نحاسها، ولم يزل الآن بالقرن الرابع بعد الألف في بيت ابنه حماد، الملقب بضريس. وهي موجودة الآن عند ذراريه وقد كانت المملكة قائمة»<sup>(13)</sup>.

هذه هي الرواية الرئيسة التي أخذ منها معظم الكتاب الذين تناولوا التاريخ السياسي للبيدية في الدُفار لذا كان من الضروري إيرادها - كما وضحنا - لمناقشتها وتحليلها من خلال عدة محاور كمدخل لدراسة تاريخ هذه الفترة.

أولاً: تقول الرواية أن السيد أحمد الحجازي نجح في تأسيس دولة عباسية في الدفار عام (172هـ) أي في النصف الأول من القرن التاسع الميلادي في الدُفار لا تبعد كثيراً عن دنقلا عاصمة مملكة المقرة المسيحية وهي في هذه الفترة في أوج قوتها وإزدهارها أمر من الصعب الأخذ به إلا إذا توفرت لهذا الرواية أدلة قوية ومقنعة، وخاصة أن الأدلة الأثرية تقول بأن قلعة الدُفار تعود للفترة المسيحية ولا توجد حتى الآن بينات أثرية تشير إلى وجود مملكة إسلامية في الفترة المذكورة، ما عدا دراسة الفخاريات التي تلمح إلى وجود استيطان إسلامي

مبكر في المنطقة، كما أن هناك دليل آخر - أشرنا إليه - لوجود إستيطان إسلامي يرجع إلى منتصف القرن الرابع عشر الميلادي، مما يجعلنا نشكك في هذه الرواية التي قامت دعائمها على رواية وردت في الصحاح التاريخية، تقول بهجرة جماعة عباسية بأمر من الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور إلى دنقلا واستقرت في الدفار سنة ثلاثة وستين بعد المائة ثم توافدت عليهم بعض أهلهم- وكان طريق هجرتهم عبر البحر الأحمر - وتكاثروا وعمروا المنطقة حتى أبكر وبنوا أكثر من خمسة عشر مسجداً، لا نعرف لها حتى الآن أثراً مادياً.

ثانياً: أن الرواية تتحدث عن البديرية الدهمشية بدنقلا ولنا وقفة في هذا الجانب، وهي أن زواج محمد دهمش من ابنة غلام الله يحتاج لبعض التحقيق والتدقيق لأن هناك روايات أسرة البادنانب في دنقلا العجوز ( القدار ) أن محمد دهمش هو جدهم ووالدتهم هي فاطمة بنت غلام الله ، وقد تزوج محمد دهمش من بنت ملك النوبة وجاب الدناقلة البديري ، من جانب آخر هناك تقول: أن غلام الله كان معلماً لمحمد بن عيسى بن صلاح (صالح) بن محمد دهمش فكيف تتفق الروايتان مع هذا الفارق الزمني الكبير - وسنفصل في هذا عند حديثنا عن التعليم الديني- كما أن هناك روايات تقول بأن مقبرة محمد دهمش موجودة من الناحية الجنوبية عند منحدر تلة صغيرة عليها آثار قلعة أبكر ، وتبعد عن النيل مسافة ميلين تقريباً<sup>(14)</sup> (صورة رقم 17،18).



صورة رقم (7) توضح موقع اللوحة جنوب موقع أبكر  
(تصوير الباحث)



صورة رقم (8) توضح الكتابة الموجودة في اللوحة  
(تصوير الباحث)

أما قبة صلاح أو صالح - كما هو مشهور عند سكان المنطقة - تقع بالضفة الغربية لمدينة دنقلا (العجوز) في منطقة الغابة وهي معروفة بقبة شيخ أو حاج سالا، واسم سالا هو تحريف لكلمة صالح عند نطقه باللسان النوبي الدنقلاوي.

ثالثاً: من المهم هنا قبل الانتقال لمباحث أخرى في نقاش هذه الرواية أن سنتنطق آراء بعض المؤرخين حول المحور السابق حيث أورد شقير معلومة مفادها أن الملك موسى سكن الدفار بعد الإسلام وأسس بها مملكة دامت إلى ما قبل الغزو التركي المصري عام 1821م<sup>(15)</sup>، ويرجح أبو شوك الرأي الذي يقول بأن مؤسس مملكة الدقار هو الملك صلاح بن موسى - الملقب بمسوا الكبير - بن محمد بن دهمش بن بدير<sup>(16)</sup>، أما عن حدود نفوذ البديرية يقول نوكلز: « إن دار البديرية تمتد من الضيقة شمالاً وحتى حدود دار الشايقية عند جبل الدقر، وكان بها أمراء يحكمون في الخندق ودنقلا العجوز وجزيرة تنقيسي وأبكر والدفار. وكانت دنقلا العجوز أكبر ممالكهم، وكانت سائر الممالك بمثابة إمارات تابعة لها<sup>(17)</sup>».

ويحدثنا ماكمايكل عن نفس المعلومات بصيغة مختلفة، وذكر: أن الموطن الحقيقي للبديرية يقع فيما بين الجوابة وبلاد الشايقية في مديرية دنقلا. وفي القرن

الثامن عشر أو قبله، عاش الزعيم (المك) في دنقلا العجوز، والملوك التابعين له في الخندق وأبكر والدفار<sup>(18)</sup>. وهناك رواية تحاول تحدد تاريخ إنتقال السلطة من دنقلا إلى الدفار (جقر نارتق) في عهد الملك موسى الأكبر<sup>(19)</sup>.

إن هذه المعلومات تحمل في طياتها الكثير من التناقض وتطرح العديد من التساؤلات ولعل أهمها، كيف نوفق بين الرواية التي تحدد الجغرافية السياسية للدفار ما بين دنقلا العجوز والضيقة، وبين الروايات التي تشير في أكثر من موضع أن نفوذ البديرية امتد شمالاً حتى ضمت عدة أمارات أخرى في دنقلا العجوز والخندق وغيرها؟ أظن أن التفسير المقبول لهذا التساؤل أن دنقلا (العجوز) العاصمة التاريخية لمملكة المقررة لم تفقد دورها السياسي تماماً وإنها كانت مركزاً مهماً للتحويلات السياسية والاجتماعية والثقافية التي شهدتها المنطقة عقب إنهيار مملكة المقررة المسيحية، وأنها خلقت نوعاً من التوازن ولو أسمى على المقاطعات المستقلة والتي عرفت بأسم الممالك ذات الطابع الإسلامي، وأن البديرية شكلوا طبقة مهمة وأساسية من طبقات مجتمع المدينة حتى آلت إليها السلطة السياسية والدينية، وهذا الموضوع سنناقشه بإستفاضة في فصلنا عن التعليم الديني والاسهام الحضاري.

رابعاً: لا توضح لنا الرواية حيثيات نهاية إمارة الدفار وإنما تربطها بإمتداد النفوذ للسلطنة السنارية، والتي سماها الأموية كما أطلق على الدفار المملكة العباسية<sup>(22)</sup>، بينما تكاد تجمع الروايات أن نهاية مملكة الدفار كانت نتيجة لغارات الشايقية قبيل الغزو التركي للسودان عام 1821م، حيث إزدادت سطوة ونفوذ الشايقية على المناطق الواقعة شمالها، وكذلك إرتبطت بغارات الشايقية هجرة الكثيرين منهم إلى كردفان وآخرين إلى دارفور، وفي منتصف القرن الثامن عشر الميلادي تقريباً نجح حاج بلول أحد زعماء البديرية في احتلال (كاجا سروج) على حدود دارفور وأتخذ من جبل (بشارة الطيب) عاصمة له (أي كاب بلول)، ولكنه تعرض لغزو سلطنة المسبعات<sup>(23)</sup>، ويبدو أن موضوع نهاية مملكة الدفار يحتاج لوقفة لإختلاف الروايات حولها حيث هناك رواية معتبرة أوردها محمد عبد الرحيم تقول أن هناك معركة كبيرة دارت بين الشايقية والمجموعات المتحالفة ضدها في شعبانة بمنطقة القولد إنتهت بهزيمة الشايقية وتقهقرهم جنوباً، وكادت أن تحدث مواجهة ثانية عند حدود ديار الشايقية لولا استسلام الملك شاويش وتدخل علماء المنطقة وأجاويدها وأصلحوا بينهم، ووضعوا حجراً في منطقة الباسا كحدود بين البديرية والشايقية<sup>(24)</sup> وعرف بحجر الحد، ولهذه

الرواية صدى في التراث الشفاهي لسكان منطقة الدفار تتفق في جوهرها مع هذه الرواية وتختلف في بعض التفاصيل، ولكننا نعتقد أن إمارة الدفار قد أصابها الضعف والتفكك نتيجة لسببين، الأول: هجمات الشايقية وغاراتها مما أدى إلى هجرة بعض قادتها شمالاً وغرباً، والثاني: إنقسام الإمارة إلى إقطاعات أسرية صغيرة حيث استناداً إلى وثيقة حصل عليها أحمد إبراهيم أبو شوك من جامعة بيرغن بالنرويج، يصف فيها مؤلفها الخواجة يوسف، والخواجة إبراهيم باذ الواقع السياسي للمنطقة قبيل الغزو التركي للسودان بأن إمارة (مملكة) الدفار تقسمت إلى كينونات سياسية صغيرة آل حكمها لبعض أعيان المملكة، وهم الملك سرير في جزيرة الشاطراب، والملك أرباب النور بن عايد في أمبكول، والملك محمد درار موسى على الضفة الشرقية للمملكة، والملك الحتاني على الغربية، والملك بشير الخندقاوي في الخندق<sup>(25)</sup>، ولعل هناك دليلاً مادياً يذهب إلى أن إمارة الدُفَّار قد تقسمت إلى إقطاعات صغيرة منها قصر الحتاني في الحدود الجنوبية لإمارة الدُفَّار، حيث تشير الروايات الشفاهية إلى أن الذي بناه هو الملك أبو القاسم بن الملك موسى الصغير - وقيل ابنه حسين - وذلك في النصف الأول من القرن السابع عشر الميلادي، وربما كان المبني قديم وأعيد استخدامه في هذه الفترة، وقد تم تخريب هذا القصر بواسطة جاويش ملك الشايقية في النصف الأول من القرن الثامن عشر الميلادي<sup>(26)</sup>، والملاحظ أن كل الرحالة الأوربيين الذين زاروا المنطقة قبل الغزو التركي للسودان 1821 لم يدونوا في كتاباتهم منظومة سياسية ملكية في الدفار حتى في أبسط حالاتها.

خامساً: أشارت الرواية إلى أحد الأدلة المادية التي تؤكد وجود مملكة الدفار - في ظل غياب الأدلة المادية الأخرى حتى الآن - وهو نحاس المملكة الذي كان موجوداً في حوزة الملك حماد الضريس وذرائعه، ولكن رغم بحثنا المُضني للتحقق من هذا النحاس لم نفلح بعد، حيث تضاربت الروايات حوله، حيث تذكر بعض الروايات أن النحاس موجود بمنطقة الجيلي بالخرطوم وآخرون يذكرون أنه موجود بالسجانة، وفي رواية أن النحاس عندما تهدمت قلعة الدفار أصدر صوتاً غريباً ودويماً هائلاً وسقط في البحر (النيل)، أما النحاس الموجود عند أسرة العمدة أحمد أبو شوك بقنتي يقال أنه نحاس الدفار، ويلاحظ أن هناك نقشاً على النحاس مكتوب فيه « أهداء من جاكسون باشا إلى أحمد محمد حسين، وياكسون باشا هو مدير مديرية دنقلا آنذاك، وهذا النقش جعل البعض يشكك

في مصداقية هذه الرواية، ويعتقدون أن هذا النحاس مجرد هدية (أحضره له من مصر) وليس له صلة بمملكة الدفار، بينما يرى آخرون أن النحاس هو نحاس المملكة أخذه جاكسون باشا وكتب عليه هذا النقش ثم رده إليه، وخاصة أن العمدة أحمد أبو شوك ترجع أصوله إلى ملوك الدفار<sup>(27)</sup>، وبين هذه الروايات ما زالت الحقيقة ضائعة، وإن كان من قول أخير في هذا الموضوع نشير إلى ملاحظة في غاية الأهمية ربما تعضد بأن النحاس الموجود عند أسرة العمدة أبو شوك ليس بنحاس الدفار وهي أن الحديث يدور حول نحاس واحد علماً بأن هناك نحاسين، (صورة رقم 9) وهذا يذكرنا بنحاسي الميذوب، ففي عام (1936م) وتحديداً يوم 13 يونيو أهدى الحاكم العام طاقماً من النحاس لملك الميذوب محمد الصباح ود جامع، وهو يتكون من نحاسين، وذلك إحتفال قبلي كبير<sup>(28)</sup>.

من جانب آخر فإن من الأدلة المادية لمملكة الدفار سيف المملكة الموجود عند أسرة قسوة توبق بمنطقة المقاودة وتزعم روايات الأسرة أن هذا السيف متوارث من أجدادهم ملوك الدفار وله قيمته الأثرية والمعنوية لدى هذه الأسرة. (راجع الفصل الرابع).



صورة رقم (9): توضح طاقمي النحاس الذي أهدهما جاكسون باشا لأحمد أبو شوك (تصوير الباحث)

وأخيراً وعوداً على بدء في موضوع أصول البديرية فإن المشهور الآن في المنطقة وامتداداتها أن البديرية ينقسمون إلى عدة عائلات إنتسبت إلى أبناء الملك موسى الأصغر الخمس - كما وردت في الرواية موضوع النقاش - وهم عايد جد العايداب، شاطر جد الشاطراب، وأسعد جد السعداب، أسد جد الأسداب، وحماد الضريس، وتقسمت السلطة في أواخر عهد إمارة الدفار على بعض هذه الأسر.

## خاتمة:

إن الحديث عن المكونات السلالية في إقليم دنقلا والسودان الشمالي بصورة عامة من الموضوعات التي يصعب البت فيها لأن هناك تداخل كبير بين السكان على مر الحقب التاريخية التي شهدتها المنطقة، وأن ثقافة المنطقة المتراكمة الجذور هي التي تفرض شخصيتها على المكون السكاني خلال هذه الفترات.

من الواضح أن هناك شبه إتفاق على نهاية إمارة الدفار كانت قبيل الإحتلال التركي للسودان عام 1821م أو تزامن معه، ولكن ما زال الغموض يكتنف تاريخ تأسيسها والكيفية التي قامت بها ونظمها الداخلية وحدودها الجغرافية، ويمكننا أن نفترض أن هذا الكيان السياسي كان ضمن المراكز الإدارية للمملكة المقررة - والتي أطلق عليها اسم الممالك - استقلت مع بدايات انهيار المملكة في نهايات القرن الرابع عشر الميلادي، ثم صارت إحدى مراكز البديرية الدهمشية السياسية الذين كانوا يمثلون الثقل الديني في مدينة دنقلا العجوز، ثم انتقل إليها أحفاد غلام الله بن عايد في النصف الأول من القرن السادس عشر الميلادي الذين تصاهروا مع البديرية وبهذا ومع غلبة الثقافة الإسلامية والعربية في المنطقة، تشكل ما يعرف بإمارة الدفار الإسلامية.

أما النظام الإداري لهذه الإمارة فإننا نفترض - كما أشرنا في كتابنا الأول - والتي إشتهرت في الأدبيات السودانية بمملكة الدفار، كان نظاماً بسيطاً يعتمد على الحاكم (الملك) الذي يتخذ من الحصن أو القصر - في الأرجح - مقراً لحكمه، ويكون تداول السلطة في إطار الأسرة.

## هوامش وحواشي الفصل الثاني:

- (1) إعتدنا في هذا الجزء بصورة رئيسية على كتابنا: دنقلا والداقلة، (الخرطوم، 2011م).
- (2) نجح البديرية في كردفان في تكوين كيان سياسي عرف بمملكة كاب بلول.
- (3) لمزيد من التفاصيل حول هذا الموضوع، راجع: عامر عبد الحميد سيد أحمد، ما أهمله التاريخ (الأشراف العباسيون الهاشميون في السودان فروعهم وأنسابهم وتاريخهم الأشراف الشايقية نموذجاً)، (ب - ن).
- (4) سبنسر ترمنجهام، الإسلام في السودان، ترجمة فؤاد عكود، 2001م، ص 24-25. راجع: (S. Trimmingham, Islam in Sudan, (London, 1949).
- (5) ل. كورباتشيك، «النوبة في نهاية القرن الثاني عشر وحتى فتح الفونج في بداية القرن السادس عشر، في تاريخ أفريقيا العام، مج4، اليونيسكو، 1998م.
- (6) R.S.O, Fahey and J. L, Spaulding "Kindoms of the Sudan", 1974 في محمد عبد الرحمن أبو سبيب «أدوات الزينة عند الشايقية وأصولها الثقافية، دراسة في الجمالية الشعبية»، أم درمان: مركز عبد الكريم ميرغني (ب. ت.)، ص 25-26.
- (7) سمير محمد عبيد نقد، غلام الله بن عايد وآثاره في السودان، (الخرطوم: دار عزة للنشر والتوزيع، 2007م)، ص 21-22.
- (8) ك. باربر، الموجز في جغرافيا السودان الإقليمية، ترجمة: هنري رياض وآخرون، (بيروت، 1968م)، ص 417.
- (9) من الملاحظات المهمة في هذا الإطار الصلح الذي تبناه علماء البديرية بين الدناقلة والشايقية وتم فيه ترسيم الحدود الفاصلة بين الطرفين عند بلدة الضيقة مما يجعل البديرية داخل الحدود السياسية والاجتماعية للدناقلة.
- (10) عبد المنعم حسن الملك، دور ربيعة في صناعة تاريخ السودان (مملكة الشاطراب نموذجاً) في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين، شبكة الإنترنت، وإتصال هاتفني مع الكاتب في شهر أبريل ، عام 2018م.

- (11) لمزيد من التفاصيل حول هذا الموضوع، راجع: عطية القوصي، تاريخ دولة الكنوز الإسلامية، (القاهرة: دار المعارف، 1976م).
- (12) تحصلت على هذه المعلومات من محمد كنده، باحث ومؤرخ من جبال النوبة، الخرطوم بتاريخ 2012/4/8م.
- (13) محمد بن علي العجيمي، المولد المسمى بكامل الأنوار في سيرة النبي المختار صلى الله عليه وسلم، ط3، (الخرطوم: مطبعة التمدن، ربيع الأول 1393هـ)، ص 83-86.
- (14) عامر عبد الحميد سيد أحمد، المرجع السابق.
- (15) نعوم شقير، مرجع سابق، ص 102.
- (16) أحمد إبراهيم أبو شوك، العمدة أحمد عمر كمبال (1915-1995م)، ملامح من تاريخ كورتي وشذرات من تاريخ الرجل، (الخرطوم: مدارك للطباعة والنشر والخدمات، 2016م)، ص 86-87.
- (17) ونوكلز، الشايقية، وصف لقبائل الشايقية وتاريخ مديرية دنقلا من القرن الرابع عشر إلى القرن التاسع عشر، ترجمة: عبدالمجيد عابدين، ط1، (ب. ن)، ص 18.
- (18) ماكميكل، مرجع سابق، ص 242.
- (19) حمد عبد الرحمن حمد البيلي، سلف البيلاب وأصهارهم من أعيان العرب، ط1، (الخرطوم: 2009م)، ص 30.
- (20) نعوم شقير، المرجع السابق، ص 102.
- (21) نوكلز، المرجع السابق، ص 21.
- (22) محمد بن علي العجيمي، المرجع السابق، ص 86-87.
- (23) ماكمايكل، مرجع سابق، ص 242-243.
- (24) محمد عبد الرحيم، النداء في دفع الافتراء، (القاهرة: مطبعة البرلمان، 1952م)، ص 27.
- (25) محمد إبراهيم أبو شوك، المرجع السابق، ص 88-89.
- (26) حسام الدين محمد أحمد وآخرون، المسح الفلكلوري على الضفة

- الغربية للنيل ما بين منصوركتي وحسين نارتى، 2015م ، ص 13-18.
- (27) سوسن حماد، المرجع السابق، ص 8.
- (28) على يوسف آدم إبراهيم (شيخو)، ملامح من تاريخ وتراث الميّدوب،  
(الخرطوم: مطبعة جامعة الخرطوم، 2016م)، ص 40.

## الفصل الرابع

# المقابلة والمقاودة (نافذة على المتّون الاجتماعي)



## الفصل الرابع المقابلة والمقاودة (نافذة على المكون الاجتماعي)

يحاول هذا الفصل فتح نافذة جانبية أو كوة صغيرة للنظر إلى المكونات الاجتماعية لمنطقة الدفار وللوقوف على هجرة حكام وزعماء الدفار شمالاً وجنوباً وغرباً، حيث ربط البعض هذه الهجرات بصورة أساسية بالضغط السياسي الذي مارسه الشايقية عليهم، وربما كانت هناك أسباب أخرى منها الاقتصادية نتيجة لتآكل الجزر النيلية والأراضي الزراعية وخاصة أن اقتصاد المنطقة كان يعتمد أساساً على الزراعة. هاجرت عدد من الأسر الدفارية نحو الشمال وبالتحديد شمال دنقلا العجوز ومنها أسرة العايداب في رومي البكري، وأسرة الإيدية في منطقة الإيدية - جنوب القولد - وعرفت بهذا الأسم لأنهم في هجرتهم شمالاً سلكوا طريق الصحراء وهي مأخوذة من الكلمة الدنقلوية إيدي، وتعني الضباع، وكذلك أسرة واوري في القولد وعرفوا بهذا الاسم لأنهم سلكوا طريق النيل وهي كلمة دنقلوية نوبية تعني المجدفون<sup>(1)</sup> وغيرهم من الأسر.

ومن أهم هذه الهجرات هجرة بعض الأسر الدفارية إلى منطقة المقاودة وهي إحدى القرى النيلية الواقعة إلى الشمال من دنقلا (العجوز) بنحو (10 كلم)، وتتميز المنطقة بكثرة المواقع الأثرية الضخمة في شكل قلاع مرتفعة متجاورة - ربما تكون مراكز استيطانية - تمتد لأكثر من (7 كلم) تفصلها ممرات أو منخفضات ومن هذه الأسر آل دقي (دقنجي)، آل أحفاد حمد (حمد تود توني) الذين يتواجدون أيضاً بمنطقة القدار، وآل سيد أحمد المشهورين باسم قسوة توكري وسنتناول هجرة هذه الأسرة - كحالة للدراسة- في هذا الفصل وبيان العلاقة بين مجموعتي المقابدة والمقاودة من خلال تتبع دلالات الاسم تاريخياً وجغرافياً.

### 4-1 المقابدة والمقاودة .. العلاقة والدلالة:

إن المتواتر في روايات أهالي منطقة الدفار أن سكان المنطقة الأصليين هم المقابدة، ويقال أن جدهم أم باب بكر، وهو مدفون بجقرنارتي ومن ذريته النصر الآب والياسيناب بقنتي والمقابدة والعوقاب بأرموقة وفقيرنكتي، كذلك لهم فروع بدنقلا فقيرنكتي وغيرها، ويروى أيضاً أن الشيخ أحمد بن محمد بن حامد والمشهور بأحمد البيلي نسبة إلى بيلا الواقع شرقي مكة المكرمة، وهي المنطقة التي وفد منها إلى السودان عن طريق البحر الأحمر (جده)، وأقام مع ثلاثة آخرين في بلدة شندي،

وكان ذلك تقريباً عام (932هـ/1526م)، ثم انتقل الشيخ أحمد البيلي إلى ديار الشايقية وأقام في تنقاسي وتزوج بنت الشيخ سراج ولد مالك الركابي وأنجب منها ابنه عووضة عام (1040هـ/1631م)، وبعد وفاة والده انتقل عووضة من تنقاسي إلى خلاوي أولاد جابر بشرق النيل وحفظ القرآن على مشايخ أولاد جابر، وقيل أنه حفظ القرآن في خلوة والده، وصار سائحاً بقرآنه حتى أستقر به المقام في قرية فقيرنكتي فبنوا له خلوة (مسيد) وأستضافه عمدة المنطقة الغربية للنيل العمدة الشيخ بشارة بن علي برسي الملقب بالغرباوي - وهو اللقب الذي أطلقه عليه الشيخ إبراهيم البولاد بن جابر وذلك لكثرة اسم بشارة في المنطقة بين الطلاب ولأنه كان يأتي للدروس من غرب النيل بالمركب - وتزوج الشيخ عووضة دار المقام، وقيل دارة بنت العمدة بشارة<sup>(2)</sup>.

ويبدو أن ثمة صراع قد حدث بين أصحاب الأرض وبين السلطة الدينية التي أخذت تزاحمهم في مصالحهم، حيث تشير الروايات المتواترة - وسمعتها أيضاً الكاتب- في المنطقة إلى واقعة تعرف بقطعة أولاد ألس ملخصها أن أربعين شاباً من شباب المقابداب - أهل المنطقة - إتفقوا على قتل الشيخ عووضة بهدم خلوته عليه، ويقال أن السبب في ذلك أنه كلما وُلد له ولد يُكرّمه أهل المنطقة بمنحه ساقية - وهي أرض زراعية متوسط مساحتها 8 أفدنة - فلم يرضهم ما يفعله أهلهم مع هذا الشيخ فقاموا بربط جبل قوي وسميك يعرف بالألس - ولعله الجبل المستخدم في الساقية المعروف بهذا الاسم - حول الخلوة تمهيداً لهدمها، فشاهدهم أحد تلاميذ الشيخ عووضة، فأخبر شيخه المتواجد مع تلاميذه داخل الخلوة، فأخذ الشيخ عووضة بيده حفنة من تراب الخلوة وذرّها في الهواء فطار على إثرها الشباب الذين حاولوا هدم الخلوة، كل مجموعة إلى جهة لم يعرف لهم مكان حتى الآن، وعرفت هذه الحادثة بقطعة أولاد ألس، وهي من الروايات ذائعة الصيت في المنطقة<sup>(3)</sup>، ورغم أن في هذه الرواية نوع من المبالغة، ولكن يبدو أن فيها قدر كبير من الحقيقة حول الصراع الاجتماعي والثقافي والاقتصادي في المنطقة في تلك الفترة، وقد فسر محمد مصطفى هذه الرواية في إطار الإزاحة السكانية واللغوية والثقافية للعناصر الأصلية التي تمت في المنطقة لصالح الأفراد والجماعات الوافدة<sup>(4)</sup>.

أوردت هذه الروايات كتمهيد للحديث عن موضوع المكون الاجتماعي القديم

للمنطقة وتفسير ظاهرة هجرة قادة وزعماء الدفار نحو الشمال من خلال الروايات الشفاهية في منطقة المقاودة والتي تقول أن محمد ووالده هو بشارة الغرباوي عمدة المنطقة هاجر نحو الشمال في فترة متزامنة مع تاريخ حادثة قطعة أولاد ألس ، ولكن هذه

الرواية تورد أسباب أخرى منها أن صراعاً وخلافاً حدث بين أولاد بشارة الغرباوي حول خلافة والدهم أدى إلى هجرة أولاده، وقيل أيضاً أن سبب مغادرة محمد بشارة للمنطقة أن سباقاً للحمير جرى في إحدى المناسبات ففاز عليه أحد المتسابقين، وعلى إثره نشب بينهما خلاف فقتله محمد وهرب شمالاً محتمياً بحكام كنگلاب<sup>(5)</sup>، - ثم انتقل إلى شرق النيل واستقر في منطقة المقاوذة وتزوج من حفيدة حسين شبا أحد حكام المنطقة وصاحب دب (قصر) أو قلعة المقاوذة - الواقعة جنوب المقاوذة (مصر الجديدة)، حيث تقول روايات هذه الأسرة أن النور حسين شبا تعرض لضغوطات من الحُموراب المتواجدين في منطقة تنقسي جنوب دنقلا العجوز مما أضطره للهجرة شمالاً والإحتماء بملك أرقو الذي أسكنه مع أهله وحشمه في جزء من جزيرة بدين والمعروف ببدین شبا، وبقي في منطقة المقاوذة ابنه حسين - كان شيخ خلوة في إحدى الروايات - والد فاطمة وهي التي تزوجها محمد بن بشارة المشهور ببشارنتود - أي ابن بشارة - وأنجب منها ابنه بشارة الذي تزوج نورة دهبوب ابنه أحمد أغا، المأمور التركي للمنطقة، وتزوج أيضاً من سرية<sup>(7)</sup>، وتجد هذه الرواية صدى كبيراً في المنطقة حيث كانت توجد مخطوطة للأنساب منسوبة لحسن عثمان فرح وقيلي بصير ترجع لأكثر من 60 عاماً - فقدت الآن - تؤكد هذه الرواية<sup>(8)</sup>، ويعضدها الذين عاصروها، وهناك أيضاً أسرة بشير حمدين التي جاءت من نفس المنطقة - الدفّار (فقيرنكتي) - وهي تنتمي التي البلياب، وجاءت في فترة تالية أيضاً حمد تود، وفي زيارة للباحث لمنطقة الدفار لاحظ وجود هذه الروايات في منطقتي فقيرنكتي ومنصوركتي، كما وقف على أطلال ما يعرف بحوش بشارة الغرباوي في منصوركتي (صورة رقم 10)).



صورة (10) توضح أساسات طينية لمباني لما يعرف بحوش بشارة (تصوير الباحث) وتقول بعض الروايات أن محمد (بشارنتود) هو من أطلق اسم قبيلته مقابدة على منطقة هجرته الجديدة فعرفت بمقابدة ثم حرّفت إلى مقاودة (9)، وإذا سلمنا بأن مقابدة حرّفت إلى مقاودة وحصل إبدال لحرف الباء إلى حرف الواو، وهذا أمر وارد جداً، كما أنه من الممكن تحريف مقاودة إلى مقابدة، لأن هذا الاسم أقدم من هذه الفترة، وخاصة أن هناك تداخل سكاني كبير بين منطقتي دفار، ومنطقة المقاودة - كما وضحنا - فإنه من الصعب تحديد تاريخ العلاقة بين الطرفين، ولكننا يمكن أن نلقي بعض الضوء على هذا الموضوع من خلال البحث عن معنى ودلالة اسم المقاودة والمقابدة وتتبعه تاريخياً وجغرافياً وكذلك الأسماء القريبة لها في النطق على فرضية حدوث بعض التحريف للاسم خلال الفترات التاريخية المختلفة، ولعل من أقدم هذه الأسماء مقادة (Megada) التي وردت ضمن قوائم أسماء الأماكن الواقعة ما بين جنوب مصر وحتى بالقرب من سنار التي أوردها بليني (Paliny) في القرن الأول الميلادي وهذه القائمة مأخوذة من كتابات بيون الضائعة - وهو أحد معاصري بليني - وتم تحديد موقع الاسم بشكل تقريبي ومطابقتها مع المجاذيب بعد مقارنته مع قائمة جوبا ((G. Juba التي أوردت أيضاً اسم مقادة أو المقاودة<sup>(10)</sup>. هناك تشابه كبير أيضاً بين اسم (مقاودا) للدلالة على منطقة جغرافية أو

وعلى مجموعة سكانية وبين بعض المسميات لمجموعات ساهمت في صنع الأحداث السياسية في الفترة التي أعقبت سقوط مملكة مروى، ففي نقش باللغة الجعزية أشار لحملة قام بها الملك الأكسومي عيزانا بعد عام (320م) وقبل عام (333م) لتأديب بعض المتمردين ومنهم المقارو (Magaro)، والنقش يوضح وجود قوى سياسية متعددة تحاول أن تفرض نفوذها السياسي على المنطقة<sup>(11)</sup>، ولعلنا نلاحظ هنا الشبه الشديد بين مقارو ومقاودة وكذلك مكاري نسبة إلى المكاريين فقد أطلق هذا الاسم في منتصف القرن السادس الميلادي يوحنا الأفسوسي (John of Ephesus) على المملكة التي قامت في وسط بلاد النوبة، وعاصمتها دنقلا باسم مملكة المكاريين<sup>(12)</sup>، ويذكر الشاطر بصيلي عبد الجليل إن هذا الاسم مستمد من اسم القبيلة الكبيرة الماكورة<sup>(13)</sup>، وكذلك ذكر ابن سليم الأسواني الذي زار بلاد النوبة في أواخر القرن العاشر الميلادي وفرق بين النوبة والمقرة بقوله: «وأعلم أن النوبة والمقرة جنسان بلسانين كلاهما على النيل، وأن مقري جد المقررة..»<sup>(14)</sup>، وكذلك أورد عبد الله حسين في كتابه (السودان من التاريخ القديم إلى رحلة البعثة المصرية) في معرض حديثه عن سكان السودان من أجناس أخرى أن المكادة هم الأحباش النصارى<sup>(15)</sup>، وهذه الأشارات قد ترجح كفة أن المقررة اسم لمجموعة سكانية أكثر من اسم لمنطقة جغرافية، ولعل من المهم هنا أن نشير إلى أن اسم مقاودة ظهر في عدد من الخرط القديمة التي ترجع القرنين السابع عشر والثامن عشر الميلاديين كاسم لمدينة أو مجموعة سكانية تقع على نهر عطبرة (خريطة رقم (2)).

من ناحية أخرى تشير روايات النسب في شرق السودان إلى أن مقاودا أو المقاودة ينتمون إلى أحد فروع الحلنقة، وهم الذين ينقسمون إلى كيانين رئيسيين، الأول: كيان الحلنقة الذين جاءوا أصلاً عن طريق الحبشة، والثاني: يرجعون في أصولهم إلى البلويين الذين تصاهروا مع الحلنقة واندمجوا فيهم وأحد فروعهم المقاودة، وذكر عون الشريف قاسم في موسوعته أن مقاودة: مكان بدنقلا والمقاودة فرع من البجا أصلهم من البلو الذين امتزجوا بالحلنقة<sup>(16)</sup>، وقد تتبع الباحث اسم المقاودة ووجد لها صدى في أرض البطانة وأيضاً توجد مجموعة تحمل اسم المقاودة منتشرة في شرق كسلا بجبل حبوبة وفي سواكن وفي حلفا الجديدة وهي مجموعة معروفة في شرق السودان وتتوزع في عدة مناطق، وأيضاً توجد منطقة تقع شرق مدينة أروما تعرف باسم مقاودة، وتجدر الإشارة هنا إلى أن هذه المعلومات أولية جمعتها الباحثة عن طريق

التواصل بالهاتف تمهيداً لزيارة ميدانية لتلك المناطق، وكذلك توجد مجموعة في غرب السودان تحمل اسم المقابضة (راجع الفصل الأول).

ومن الدلائل على الإنتشار الجغرافي لاسم المقاوودة للدلالة على مجموعة بشرية (قبيلة) حاكمة ما ذكره نور الدين السيد: أن جدته وتدعى يو بنات أبوبكر من منطقة مشو (جنوب الشلال الثالث) توفيت عن عمر يناهز (135 سنة)، كانت تردد أغنية شعبية نوبية إحدى مقاطعها:

مقاودري أروي - ن - تودكي

( ابن الملوك من مقاوودة )

وهذا المقطع يعني أن هذا الممدوح (غالباً العريس) من أبناء ملوك المقاوودة، ومعلوم أن مثل هذه الأغاني (السيرة) عادة في حفلات الزواج للتفاخر والتباهي بأنساب ومكانة العروسين في المجتمع، وتقوم بهذه المهمة عادة كبيرات السن العارفات بالأنساب، وهي عبارة عن سجل تاريخي للأسرة.

من الواضح أن اسم المقاوودة استخدم في الغالب للدلالة على مجموعة سكانية لها كيان اجتماعي وسياسي خلال هذه الفترات التاريخية المتعاقبة، ثم اسقط هذا الاسم على المناطق الجغرافية التي يقطنوها، ووردت بعض هذه المعاني في مقاطع السيرة المتداولة في منطقة المقاوودة شمال دنقلا المدينة التاريخية ومنها هذا المقطع وكل مفرداته تشير إلى الأصل الملكي لهذه الأسرة يمكن أن نترجمه على النحو التالي:

أبناء أصحاب المقام الرفيع من المقاوودة

الملوك أبناء الملوك من مقاوودة

أبناء مقاوودة أصول وأساس المنطقة

أبناء مقاوودة أصحاب الأعراق الطيبة<sup>(17)</sup>.



خريطة رقم (2) توضح مدينة المقاودة علي نهر عطبرة

#### 4-2 روايات أسرة قسوة توق بالمقاودة:

سنتناول في هذا الجزء، من هذه الدراسة، روايات أسرة قسوة توق بمنطقة المقاودة والذين يزعمون أن أصولهم ترجع لملوك الدفار، وأن بحوزتهم سيف مملكة الدُّفار؛ ورأيت إن أقسم هذه الروايات إلى موضوعات، حتى يسهل تحليلها وقراءتها في سياقه التاريخي والثقافي مبتدئاً بلقب الأسرة وبيان معناه ودلالته، ثم هجرتهم إلى المقاودة وأسبابها وأخيراً علاقتهم بملوك الدُّفار.

**الاسم ودلالاته:**

يقول عزالدين سعيد: «لقب الأسرة قيل فيه الكثير منهم من قال أو فسر التسمية قسوة طوق بكاسري الرماح أو من يضربون بقوة وقسوة، وأنا أميل لهذا التفسير لسبب بسيط وهو أن هذه التسمية أطلقت على من أتو إلى المقاودة فقط ودليلي على ذلك أن هذه التسمية غير موجودة في الكرد حيث أعمامي وأبي، وإن صح تحليلي كانت التسمية تخص من استقروا بالمقاودة وتكون المفردة محلية من أهل المقاودة، وبلغة أهلها وفي هذا قيل لأنهم كانوا بدايةً لايركبون إلا الخيول أو الحمير المميزة المسرحجة، ويتميزون بلبس أفخر الثياب بمقياس ذلك الزمان وكان فيهم شيء من الأنفة وإن شئت العزة ومجرد أنهم يتحدثون العربية كان شيء غير مألوف مجتمعنا والله أعلم»<sup>(18)</sup>. إن ما أورده عز الدين سعيد إدريس في تفسيره أو تخريجه للقب الأسرة هو التفسير الشائع في المنطقة، ولكن بدوى موسى أورد رواية مختلفة مفادها: «إن سبب هذا اللقب هو أن سيد احمد، وهو أول القادمين لمنطقة المقاودة -سنتناوله لاحقاً - كان تاجراً لصوف البهائم وكان أيضاً يقوم بحلاقة الماعز والضأن لذا أطلق عليه هذا اللقب وأن آلة الحلاقة المقص كانت معروفة باسم كيسور»<sup>(19)</sup>، ويعضد الرواية الأولى تفسير محمد حسين شبا للقب بقوله: «وكانوا...يتكلمون العربية بفصاحة ويدمجونها مع اللغة النوبية، ويبدو أنهم لقبوا أنفسهم (بكاسري القسي) أي الحراب، وهكذا تكون الكلمة من مقطع أول عربي وثاني نوبي؛ والاحتمال الثاني يرجع إلى أناقة اللبس وهو أيضاً مكون من مقطعين الأول عربي والثاني نوبي وهو (كسوة توق) وقلبت الكاف قافاً لقرب المخرج، وكسوة الملبس وتوق المبالغة في اللبس، ولأن عبارة مشهورة تقال في المنطقة لمن يحسن اللبس يقولون له (توق دقيد دان)»<sup>(20)</sup>؛ ومن المحتمل أن يكون لهذا اللقب دلالة دينية وسياسية. وربما كان أصل الكلمة مكون من مقطعين كسي (kasse) وهو تحريف لكلمة كنيسة، وتعرف منطقة تقع شمال المقاودة باسم كسي، أما المقطع الثاني توق بمعنى يكسر أو يهدم والمعنى الذي

يرمى إليه اللقب من الناحية الدينية أن هذه الأسرة تمكنت من نشر الإسلام وهدمت الكنيسة مجازاً أو حقيقةً، لأنها أسرة دينية تنتمي للدُفار، كما تشير رواياتهم، والدلالة الثانية سياسية وهي أنهم من البيت الحاكم في دُفار<sup>(21)</sup>، وأميل أكثر للدلالة الثانية على حسب الشواهد الشفاهية التي سنوردها في الصفحات التالية .

### هجرتهم إلى المقاودة وأسبابها:

تشير روايات أسرة قسوة تروق أن أول من قدم لمنطقة المقاودة، هو: «سيد احمد وابن عمته ميرغني عبدالرحيم، هاجروا أو هُجروا في الثلث الأول من القرن الثامن عشر الميلادي وهما شباب لم يتزوجوا بعد على مراكب محملة ببعض بضائع ذلك الزمان، ولكل حصان وسلاح وجدنا سيد احمد كان قد اشترط أخذ السيف، وكان هو الأحق بتسلم سيف ملوك دُفار حسب الروايات التي سمعناها، وبعض الروايات تقول إنهم فعلوا ما يوجب ترحيلهم ... وفي نفس الوقت استبعد تركهم طوعية لأرض آبائهم وأجدادهم ... ولكن أساس المشكلة لا أعلم عنها شيئاً ويبدو أنها كانت مشاجرة أدت إلى قتل، وقيل عنه انه كان قوياً شديداً المراس شجاعاً لا يهاب وفارس ولا أستبعد أن يكون فعلها في تلك السنة المبكرة بداية العشرينات ... وسمعت أيضاً من يقول إن سبب المشاجرة التي أفضت إلى القتل كانت نزاعاً على السيف مما يؤكد أهمية ومكانة من يستأثر بالسيف داخل الأسرة وخارجها في تلك الحقبة، وتزوج سيد احمد كمير موسى، أخت إبراهيم موسى وكان من علية القوم ... والساقية الحالية (الساقية رقم 6 بالمقاودة) باسم جدنا سيد احمد حيث نحن الآن كانت لإبراهيم موسى شقيق كمير التي تزوجها جدنا وبعد أن آلت ملكية الساقية لسيد احمد اتجه جدنا إبراهيم موسى شمالاً لجدي كوتي -حلة داخل القرية -، وهناك من يقول أن سيد احمد أشتري الساقية من إبراهيم موسى وكان سيداً موسراً طبقاً لمقاييس تلك الفترة، وأنا اعتقد إن ثقافة بيع الأملاك إن جاز التعبير لم يكن مألوفاً حينها قد يكون تنازل طواعيةً لصره... ويقال إن أهلهم كانوا متواصلين في كل المناسبات والشوقار بتاع الختان \_ وهي عادة متبعة حيث كانوا يذهبون بالمختون لزيارة أهله\_ كان يصل حتى قشاي وقتني على مدى أيام على ظهور الحمير ، ويقال إن آخر مناسبة كانت ختان أعمامنا محي الدين وبشرى حيث مكث أهلهم بالمقاودة لمدة أربعين يوماً وكان ذلك خلال العقد الأول من القرن الماضي وهذا يدل على استمرار الود أي لم يكن هناك ما يوجب القطيعة ...»<sup>(22)</sup>.

توضح هذه الرواية أسباب وتاريخ وبداية هجرة هذه الأسرة إلى المقاودة؛ ومن ثم لحق بعض الأفراد من الأسرة حيث تذكر الروايات إن عائشة شقيقة سيد

احمد قد لحقت بأخيها في المقاودة من أجل إثثائه عن الاستقرار في المقاودة والعودة مرة أخرى، ولكنها هي نفسها استقرت بالمقاودة؛ وإذا حسبنا عدد الأجيال لهذه الأسرة من سيد احمد وحتى الآن نحو ستة أجيال وإذا وضعنا تاريخاً تقريبياً لكل جيل بثلاثين سنة فإن قدوم هذه الأسرة يكون في الثلث الأول أو النصف الأول من القرن التاسع عشر الميلادي وهو تاريخ مقارب لما ورد في الرواية، ولكن يبدو أن الراوي قد أخطأ في القرون الميلادية - وهذا أمر وارد- فذكر الثلث الأول من القرن الثامن عشر الميلادي بدلاً من الثلث الأول من القرن التاسع عشر الميلادي، وهو تاريخ مناسب للأحداث التي مرّت بها مملكة الدُّفار فقد ذكر نعوم شقير: «مملكة الدُّفار. قامت في حلة الدُّفار... ودامت إلى ما قبل الفتح المصري بقليل إذ خربها الشايقية وطردها أهلها منها إلى جزيرة قانتي (قنتي) حيث لا تزال ذُرَيْتهم إلى اليوم...»<sup>(23)</sup> ويمكننا أن نعطي تاريخاً تقريبياً لنهاية مملكة الدُّفار وهو نهايات القرن الثامن عشر الميلادي، ومن جانب آخر فإن ماورد في هذه الروايات يُكاد يُطابق ما ذكره نعوم شقير من طرد ملوك الدُّفار إلى قنتي، ويبدو أن الأسرة الحاكمة انتشرت في المنطقة النيلية في مناطق قوشاي، والدبة، والكرد، والمقاودة وغيرها، وفي هذا الإطار أشار إبراهيم أبنعوف إلى أن أسرة حمد تود في القدار، وأسرة واوري في القولد، التي ترجع أصولها الي الدفار يزعمون بأن لهم صلة قرابة بهذه الأسرة(24).

#### علاقتهم بملوك دُّفار:

أما علاقة أسرة قسوة توق بملوك دُّفار فتشير روايات الأسرة إلى أنهم ينتسبون إلى البديرية الدهمشية ملوك دُّفار ( وثيقة رقم (1) )، ولمحمد حسين شبا له رواية أخرى عن نسب أسرة قسوة توق لا تخرج عن السياق العام الذي طرحناه في الفصل الاول حول دلالات كلمة جعل، وذكر: «أن جده محمد ووالده هي عائشة إدريس- ورد ذكرها - حكي له أن جدهم الكبير واسمه بادي أبو حراب جعلي من المئمة وكان فارساً مشهوراً»<sup>(25)</sup>، وتعضد هذه الرواية ما جاء في سيرة أسرة شبا وهم أصحاب سيد أحمد، نوردها مترجمة من اللغة النوبية الدنقلاوية \_ ويمكن تفسيرها في إطار مكون جعل، ليس جعليين-:

شبا ابن جعل الشايقية

شبا ابن شيوخ دبة الفقراء

شبا ابن قوشاي وجرا<sup>(26)</sup>



وثيقة رقم (1) توضح نسب أسرة قسوة توك وهي منسوخة من الوثيقة الأصلية  
( منزل خالد سر الختم - بري الخرطوم )

ومن أهم الأدلة على علاقة هذه الأسرة بملوك الدُّفار روايتهم المتواترة بأن سيف المملكة موجود لدى الأسرة، وهو موجود الآن بطرف خالد سر الختم السيد سيد أحمد الذي روى قصة وصول السيف إليه قائلاً: « عمى أمين السيد وأخوه عبد اللطيف عندما استلموا السيف وكان عند عبد اللطيف ومكث عنده عشرات السنين، وده قبل خمسين عام تقريباً، وأخيراً اجتمع أفراد الأسرة وقرروا ترك السيف عند كبيرنا وتم تسليمي السيف قبل أربعة سنوات<sup>(27)</sup>»، وعن أصل هذا السيف ذكر: « سمعت من عمى السيد عبد اللطيف سيد احمد أنو السيف متوارث من ملوك دُّفار وقيمته أثرية وأنتقل من جدنا سيد احمد ومنه لابنه السيد، وعند تسليم السيف يقام احتفال يشبه العرس<sup>(28)</sup>»، ويضيف أزهرى سعيد، على حسب ماسمع من كبار السن: «كان لتسليم السيف طقوس معروفة زى احتفال الأعراس يتم ذبح الثور وذبائح أخرى وبعد مراسم التسليم والتسلم يتم تهنئة من يُسلم له السيف كأنه عريس، وتغنى الأغاني ويضربوا الدفوف وتقال الأشعار ولكن للأسف لم تصلنا أشعارهم<sup>(29)</sup>»، أما وقت توريث أو تسليم الابن السيف يقول عزالدين سعيد: «المسألة لم تكن مرتبطة بعمر الابن إطلاقاً بالعكس كانت مرتبطة بعمر الأب وتقدمه في العمر يعنى في أواخر أيام الأب يسلمه لأكبر أبنائه سناً<sup>(30)</sup>» .

أما وصف السيف فطولته متر وعرضه (3.5) سم وهو مصنوع من الفولاذ وعليه ختم أو نقش في شكل هلال، ومقبضه من الخشب مغطى بسيور من الجلد رفيعة حسنة الصنع مربوط عليه حريراً أحمر، كان من طقوس احتفال التسليم، وفي مقدمته حديد في شكل صليب؛ والجراب من جلد البقر وفي مقدمته غالب الظن جلد تمساح صلب وبه زخارف كثيرة في شكل مثلثات ودوائر صغيرة متداخلة وخطوط متموجة، وطول الجراب (86سم) وعرضه (5 سم)، (أنظر: الصور 11 - 14)، وهذا السيف شديد الشبه بسيوف ملوك أرقو الذين تزامنت مملكتهم مع مملكة الدُّفار، وهنا أشير إلي ضرورة إجراء مزيد من الدراسات حول السيف من مختصين.



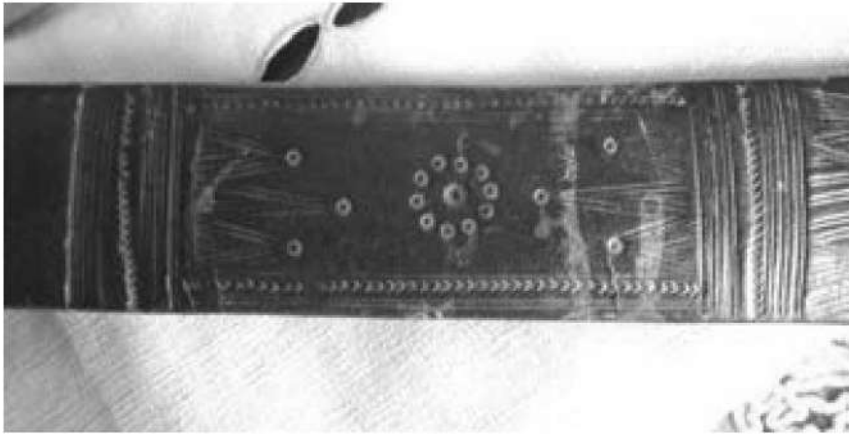
صورة رقم (11): سيف مملكة الدفار الموجود لدى أسرة قسوة توك  
(تصوير الباحث)



صورة رقم (12) مقبض ا-لسيف (مربوط به حرير أحمر)  
(تصوير الباحث)



صورة رقم (13): رموز ونقوش على السيف  
(تصوير الباحث)



صورة رقم (14): رموز ونقوش على غمد السيف  
(تصوير الباحث)

خاتمة :

هذا الفصل كما يُوحى عنوانه يحاول أن يفتح نافذة على التركيبة الاجتماعية لمنطقة الدفار من خلال التواصل السكاني والثقافي المستمر عبر الفترات التاريخية المتعاقبة والتي حثت فيها بعض التغيرات في التركيبة السكانية ، يمكن وصفها بأنها محدودة حيث أستقبلت المنطقة بعض الهجرات البشرية الوافدة ، التي أشرنا لبعض جوانبها ، وفصلنا في الروايات التي تحدثت عن السكان الأصليين لمنطقة الدفار وهم مقاودة وحرفت الي مقابدة ومقابضة لان مقاودة الاكثر انتشار والاكثر ورودا في المصادر المختلفة ، وهذا الاسم ارتبط بالتحركات السكانية التي حدثت عقب انهيار مملكة مرووي في القرن الرابع الميلادي وربما قبلها ، ولعل اخر حلقات هذه هجرات هذه المجموعة -التي امتدت بصورة واضحة ما بين مناطق البحر الأحمر ونهر النيل - هجرة بعض أفراد الأسرة الدفارية الحاكمة من منطقة قنتي الي منطقة المقاودة ، وتبقي النافذة مفتوحة لمزيد من الدراسات المستقبلية .

### هوامش وحواشي الفصل الثالث:

- (1) محي الدين تيتاوي ، صحفي سوداني معروف وأستاذ جامعي، 70 عام تقريباً، مقابلة بمنزله بالخرطوم، يوم 9/6/2016م.
- (2) حمد عبد الرحمن حمد البيلي، المرجع السابق، ص 32-33.
- (3) نفس المرجع ، ص 39-41.
- (4) محمد المصطفى النور، « أولاد ألس - الإزاحة السكانية واللغوية والثقافية للعناصر الأصلية والتحول نحو العربية - الإسلامية في المنطقة الممتدة بين منصور كتي والدبة من خلال الروايات الشفاهية»، ورقة مقدمة في مؤتمر: «سنار: المدينة - الدولة - الحضارة»، ضمن فعاليات سنار عاصمة الثقافة الإسلامية 2017م، بتاريخ 31 مايو - 1 يونيو 2016م، قاعة الصداقة، الخرطوم.
- (5) عمر عبد الرحيم سلطان، 80 عام تقريباً ، تاجر ، مقابلة بمنزله بأركويت - الخرطوم بتاريخ 3/8/2016م.
- (6) عوض أحمد حسين شبا ، المقابودة - الاسم والتاريخ - مقال غير منشور.
- (7) حليلة كية ، متقاعد في المنزل ، 120 عاماً تقريباً ، مقابلة بمنزلها ، قرية المقابودة (مصر الجديدة)، بتاريخ 21/10/2009م.
- (8) علوية حسن عثمان فرح ، معلمة ، 58 عاماً تقريباً ، مقابلة معها بمنزل بشري شيخ الدين ، المزاد - الخرطوم بحري، بتاريخ 5/4/2017م.
- (9) محمد حسين محمد محمود ، نقابي سابق ، مهتم بالتراث، 70 عام تقريباً، مقابلة بمنزل عثمان حسين محمد محمود، الحاج يوسف، الخرطوم بتاريخ 2/6/2018م.
- (10) أو. جي ، كروفورد ، المرجع السابق ، ص 25-27.
- (11) فوزي عبد الرازق بيبي مكاوي، (مملكة أكسوم - دراسة لتاريخ المملكة السياسي وبعض جوانب حضارتها)، رسالة دكتوراة غير منشورة، معهد البحوث والدراسات الإفريقية، جامعة القاهرة، 1974م ، ص 334 - 335.

- (12) مصطفى محمد مسعد، الإسلام والنوبة في العصور الوسطى - بحث في تاريخ السودان وحضارته حتى أوائل القرن السادس عشر الميلادي، (القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، 1960م)، ص 71.
- (13) الشاطر بصيلي عبد الجليل، تاريخ حضارات السودان الشرقي والأوسط من القرن السابع إلى القرن التاسع الميلادي، (القاهرة: الهيئة العامة للكتاب، 1972م).
- (14) ابن سليم الأسواني (ت 386هـ/996م)، عبد الله بن أحمد بن سليم، كتاب النوبة والمقرة وعلوة والبجة والنيل، في: مصطفى محمد مسعد، المكتبة السودانية العربية، مجموعة النصوص والوثائق العربية الخاصة، بتاريخ السودان في العصور الوسطى، (الخرطوم: من مطبوعات جامعة القاهرة بالخرطوم، 1972م)، ص 98-99.
- (15) عبد الله حسين، السودان من التاريخ القديم إلى رحلة البعثة المصرية، ج1، (القاهرة: مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، 2012م)، ص 35.
- (16) عون الشريف قاسم، المرجع السابق، ص 59، 23.
- (17) لمزيد من التفاصيل حول الموضوع، راجع:
29. عوض أحمد حسين شبا، أغنية السيرة السردية الدنقلوية، كتاب غير منشور.
- (18) عز الدين سعيد إدريس سيد احمد، موظف بالمعاش، 70 عام الإمارات العربية المتحدة، تسجيل صوتي بالواتساب، بتاريخ 2016/8/7م.
- (19) بدوى محمد موسى بلال، موظف ومزارع بالمعاش، 75 عام، مقابلة شخصية بقرية المقاوودة، بتاريخ 2016/8/13م .
- (20) محمد حسين محمد محمود، الراوي السابق.
- (21) عوض شبا، المقاوودة، مرجع سابق.
- (22) عز الدين سعيد إدريس سيد احمد، الراوي السابق.
- (23) نعوم شقير، مصدر سابق، ص 428.
- (24) إبراهيم أبنعوف، أستاذ جامعي، 65 عاماً تقريباً، مقابلة بمكتبه، جامعة الخرطوم، بتاريخ 2016/11/7م.

- (25) محمد حسين محمد، الراوي السابق .
- (26) عوض شُبا، أغنية السيرة ، المرجع السابق.
- (27) خالد سر الختم سيد احمد (بروفيسر)، أستاذ جامعي بالمعاش 72 عام، مقابله بمنزله بالخرطوم بري، يوم الأربعاء 2016/7/23م .
- (28) نفس الراوي.
- (29) أزهرى سعيد إدريس سيد احمد، موظف بالمعاش، 65 عام، مقابلة بالحاج يوسف الخرطوم بتاريخ 2016/10/21م.
- (30) عز الدين سعيد إدريس، الراوي السابق .

## الفصل الخامس

# التعليم الديني والإسهام الحضاري



## الفصل الخامس التعليم الديني والإسهام الحضاري

### تمهيد:

إن من أبرز المظاهر الحضارية لخلفاء مملكة المقرة هو إزدهار التعليم الديني وانتشار الثقافة الإسلامية واللغة العربية في أهم منعطف تاريخي للتحويلات الثقافية والحضارية بعد إنهاء الممالك النوبية المسيحية، وقد مثلت منطقة الدُقار بدايات هذا التحول، وكانت مدينة دنقلا (العجوز) هي نقطة الإنطلاقة الأولى، ومن أهم مراكز التعليم الديني في السودان.

ويهتم هذا الفصل - وكان في الأصل ورقة بعنوان: خلاوي دنقلا العجوز وأثرها الديني في السودان (قراءة تاريخية في كتاب طبقات ود ضيف الله) قدمت في مؤتمر كتاب الطبقات (2015م) - بالحركة الدينية والتعليمية التي انتظمت المنطقة بالإشارة للمراكز العلمية المهمة، من حيث القدم والتأثير، والتي عرفت باسم الخلاوي، ومفردها خلوة وتجمع خلوات، والمشهور في السودان خلاوي - وهي في الأصل من الإصطلاحات الصوفية التي تعني إعتزال الناس بقصد التعبد والوصول إلى الحقيقية، أما في السودان فإن للخلوة مدلول آخر ومحدد بمكان تؤدي فيه وظائف التعليم الديني من تعلم الكتابة وتحفيظ القرآن ثم دراسة العلوم الدينية<sup>(1)</sup>، وسوف نستخدم في هذا الفصل مصطلح خلوة لشهرتها وإيقائها بغرض الدراسة، مع التمهيد بمقدمة موجزة لمدينة دنقلا وملاح تحولها للإسلام لأهميتها ولأن أولى خلاوي السودان أنشئت فيها، وكذلك كانت من أهم المراكز الدينية والتعليمية للبديرية.

### 5 - 1 دنقلا كمدينة علمية إسلامية :

تقع مدينة دنقلا على الضفة الشرقية لنهر النيل عند دائرة عرض (465° 13' 18°) وخط طول (688° 44' 30°)، وترجع أقدم الأدلة الأثرية التي تشير إلى وجود هذه المدينة، حتى الآن، إلى أواخر القرن الخامس الميلادي. وأخذت هذه المدينة في النمو والتطور حتى أصبحت حاضرة مملكة المقرة في القرن السادس الميلادي. ثم إزدادت أهميتها السياسية والدينية بعد أن صارت عاصمة المملكة المتحدة (مملكتي المقرة ونوباتيا) في بدايات القرن الثامن الميلادي على الأرجح<sup>(2)</sup>. وشهدت هذه المدينة دخول الديانة المسيحية بصورة رسمية على المذهب

الملكاني في النصف الثاني من القرن السادس الميلادي ثم تحولت في فترة لاحقة إلى مذهب الكنيسة المصرية<sup>(2)</sup>. أما كيفية دخول الإسلام إلى دنقلا مازال يكتنفها رغم أن الكثير من الإشارات توضح تسرب المؤثرات الإسلامية إلى بلاد النوبة مع بواكير الدعوة الإسلامية. مثلاً يرى عبد الله الطيب أن الهجرة الأولى للمسلمين في السنة الخامسة من البعثة المحمدية كانت إلى بلاد النوبة (السودان) وهي الهجرة التي اشتهرت عند المؤرخين المسلمين بإسم هجرة الحبشة<sup>(4)</sup>. ولعل أول إشارة لوجود جالية مسلمة صغيرة مكونة من ستين فرداً في مدينة دنقلا ترجع إلى أواخر القرن العاشر الميلادي<sup>(5)</sup>. يبدو أن تحول دنقلا من المسيحية إلى الإسلام تم بصورة سلمية وفق تغيرات سياسية وإجتماعية وثقافية بطيئة ظهرت بوادرها بتولي سيف الدين عبد الله برشمبو كأول ملك نوبي مسلم لعرش دنقلا عام (1317م)، وقد أسس أول خلوة لتعليم القرآن كما تزعم بعض الروايات الشفاهية، وهنا نشير إلى أن من أقدم المساجد في بلاد النوبة المسجد الذي ورد في إتفاقية البقط (31هـ / 652م)<sup>(6)</sup>، وتوجهت أنظار الباحثين إلى مدينة دنقلا باعتبارها العاصمة ومكان توقيع الإتفاقية، وأقترح غرفة صغيرة بها مئذنة واقعة إلى الشمال الشرقي من القصر الملكي كما هو مشهور- ولكني أقترح مسمي (المبنى X)) لعدم المعرفة الدقيقة لطبيعة المبنى حتي الان - إلا أن الدراسات الأثرية التي أجريت عليها أشارت إلى أن تاريخ هذا المبنى يعود إلى القرن الرابع عشر الميلادي، ولعل الذي أدى إلى تضارب الآراء حول هذا المبنى إفتراض أن الغرفة المشار إليها هو المسجد دون التحقق منها، وكذلك دراسة الغرفة (المسجد المزعوم) كأنه مبنى قائم بذاته، والوقوف على الغرفة يؤكد بصورة واضحة أنها جزء من مبنى يتكون من عدة غرف مختلفة الأحجام، والراجح أن هذا المبنى هو خلوة قديمة لدى مقارنتها بالطرز المعمارية للخلاوى الموجودة وخاصة المئذنة الملحقة بالغرفة (المسجد المزعوم)، وتذكر بعض الروايات الشفاهية أن هذا المبنى هو خلوة ومسيد عبد الله ومن المحتمل أنه الملك عبد الله برشمبو، من جانب آخر فإن بعض الدراسات شككت في نصوص إتفاقية البقط المشهورة (صورة رقم (15))<sup>(7)</sup>.



صورة رقم (15) توضح آثار خلوة ومسجد الملك عبد الله برشميو المزعوم  
(تصوير الباحث)

## 5 - 2 خلوة غلام الله بن عائد وأحفاده (الركابية):

تذكر بعض الروايات التاريخية أن الشيخ غلام الله بن عايد ينتمي إلى أسرة دينية عريقة باليمن لها صلة بآل البيت الشريف وأنه قدم إلى السودان في منتصف القرن الرابع عشر الميلادي، وأستقر في دنقلا لأنها كانت في غاية من الحيرة والضلالة الشديدة لعدم وجود العلماء ومدارس القرآن وعمل على تعمير المساجد وإنشاء مدرسة (خلوة) لتعليم القرآن الكريم<sup>(8)</sup>.

وقد إختلف الباحثون والرواة في أصل غلام الله بن عايد فبعضهم يرى أنه يمني، ولكنهم لم يتفقوا حتى في إسم البلدة التي جاء منها من اليمن هل هي زيلع أم الحليلة أم اللّحية، وآخرون ينسبونه إلى الحجاز، ومن أجل التحقق من هذا الموضوع سافر الطيب محمد الطيب إلى اليمن سنة (1975م) وإلتقى بالقاضي إسماعيل الأكوع، وهو أحد العالمين بدور العلم في اليمن، وسأله عن بلدة اللّحية فأجابته: لا توجد قرية بإسم اللّحية في اليمن وذكر له أن هناك بلدتان بإسم الحليلة هما حليلة صنعاء وحليلة بني مطر، ورجح الطيب بأن غلام الله ربما يكون من حليلة بني مطر لأنها معروفة بتعليم القرآن من زمن طويل بالرغم من أنه لم يجد ذكر لغلام

الله في تلك المناطق<sup>(9)</sup>، ومن ثم إشتهر إسم الحليلة بإعتبارها البلدة التي هاجر منها غلام الله إلى دنقلا بين الكتاب والباحثين السودانيين. إلا أن المعلومات التي توصل لها الطيب لم تقنع بعض الباحثين، ومنهم سمير محمد عبيد الذي سافر إلى اليمن سنة (2006م) لنفس الموضوع وجمع معلومات مهمة أشارت الي أن غلام الله بن عايد أتى إلى السودان في تاريخ تقريبي قدره بحوالي عام (870هـ)، أي في نهايات القرن الخامس عشر الميلادي أو في بدايات القرن السادس عشر الميلادي، من بلدة اللُّحِيَة اليمينية وهي ميناء صغير على البحر الأحمر عند مصب وادي مور مع الحديدية، ويُرجح أنه ينتسب إلى قبيلة جهينة وذلك بعد أن فُتد كل الروايات الي تنسبه إلى أهل البيت أو إلى بني هاشم. وذكر أن السبب في ذلك هو الظروف السياسية والإجتماعية في تلك الفترة التي تجعل من النسب الشريف حماية لأرواح وأموال الدعاة من هجمات القبائل، فضلاً عن المكانة الدينية والإجتماعية التي قد يتمتعون بها بإدعائهم لهذا النسب. وإعتمد في ترجيحه هذا على وثيقة فيها نسب عبد الرحمن بن جابر، أحد أحفاد غلام الله، فيما كتبه في إجازته لإبراهيم بن أم رابعة: «بتاريخ إثنين وثمانين وتسعمائة من الهجرة النبوية، وكتبه الفقير بن جابر الجهني في العرب نسباً، وبلغني أنه ثبت نسباً من ذرية السايح أحمد بن عمر، وهو من ذرية عقيل بن أبي طالب، ولكن الأول هو المتواتر من آباءنا، فسبحان الله الموفق للصواب». ولعل السبب الرئيسي في قدومه للسودان علمه بالحضور الكبير لقبائل جهينة في السودان، أما إختيار دنقلا كمقر له فلأنها أكثر أمناً وتقدماً<sup>(10)</sup>.

إن قراءة هذه الوثيقة من ناحية تاريخية تُرَجِّح معلومة سمير محمد عن تأريخ قدوم غلام إلى السودان، ومما يدعم هذا الرأي أيضاً ما جاء في ترجمة رباط بن غلام الله عن قصة زواجه لأمة من الصوادة وهي التي ولدت له ابنه سليم<sup>(11)</sup>، وكانت هذه الحادثة في زمن الفونج، ومعلوم أن تاريخ سلطنة الفونج بدأت منذ أوائل القرن السادس عشر الميلادي(1504م)، وليس من المعقول أن تكون الفترة الزمنية بين الأب وإبنه ما يقارب القرنين من الزمان، كما أن سوار الذهب -الذي سيأتي الحديث عنه- تتلمذ على يديه في فترة زمنية مقاربة.

ويزعم على عثمان محمد صالح أن غلام الله بن عايد ينتمي إلى إحدِي الأُسُر الدينية اليمينية التي إستقرت شمال من مدينة دنقلا، ورهما في منطقة المحس، وعُرفوا بإسم الركابية. ويعتقد أن إسم ركاب في الأصل كلمة نوبية وهي أركبجي(Arkabaje) وتعني الغول، وهي من المصطلحات الصوفية التي تطلق على الشيوخ للدلالة على

مكانتهم الدينية والروحية. ويُرجح أن غلام الله انتقل من هذه المناطق إلى مدينة دنقلا وأنشأ بها مدرسة دينية عريقة ومشهورة<sup>(12)</sup>. وأرى أنه قد يكون لهذا التخرّيج شئ من المعقولية وذلك لإشتهار إسم ركابية للإشارة لأسرة غلام كما أن شهرة غلام الله بن عايد نفسه هي الركابي رغم أنه إسم أحد إبنيه.

أما اسم غلام الله فقد أثار أيضاً جدلاً بين الباحثين، وأكثر الروايات شهرة هي التي تقول بأن غلام الله كان صغيراً و حدث أن إشتعلت النار في منزلهم فهرعت الأم لإنقاذه فمنعها والده وقال: لو كان ولدي لا تأكله النار وعندما إنطفأت النار وجدوه سليماً يلعب دون أن تمسه النار سوى أثر الدخان على ملابسه، فأطلق عليه اسم غلام الله أو الغلام المَجْمُر<sup>(13)</sup>. وهذه الرواية أقرب إلى الأساطير التي تحاك لتضفي على صاحبها هالة من القدسية والمكانة الدينية حيث أن المجتمع الديني كان يتقبل مثل هذه الروايات، ويزعم الطيب محمد الطيب بأن لقب غلام الله أطلقه عليه الدناقلة، وهذا اللقب أشبه في القياس بالاسم الدنقلاوي نقد الله وتعني عبد الله<sup>(14)</sup>. وهذا الرأي قد جانبه الصواب- في إعتقادي - حيث أنه بعيد في القياس اللغوي، وفي المشهور من الأسماء بدنقلا، ويرى سمير محمد عبيد أن هذا الاسم كان معروفاً في مصر في العهد المملوكي قبل ولادة غلام الله، ولكن لا يوجد ما يدل على أن هذا الاسم كان معروفاً في السودان قبل غلام الله بن عايد، وإن صح هذا القول فإن إطلاق هذا الاسم أو اللقب في تلك الفترة في مصر له دلالة عرقية وإجتماعية واضحة<sup>(14)</sup>.

ومما سبق وفي ظل تضارب هذه الروايات يشكك ميرغني ديشاب في وجود غلام الله أصلاً<sup>(15)</sup>. ومن المحتمل أن لغلام الله بن عايد صلة بدنقلا، والذي قادنا إلى هذا الإحتمال هو سرعة تأقلمه مع الواقع الإجتماعي الجديد بثقافته ولغته المختلفتين، وزواجه بإمرأة من نساء دنقلا، وإن كنت أظن أن وجود علماء دين مسلمين كأفراد في دنقلا كان أسبق من قدوم غلام الله في نهاية القرن الخامس عشر الميلادي، كما سأسير لاحقاً، ولعل هذا ما يجعلني أتساءل عن سبب ضعف التأثير العلمي لغلام الله في دنقلا، وسكوت المصادر التاريخية عن إستمرار خلوته، التي مازالت آثارها باقية إلى اليوم في دنقلا، وتقع في المنخفض الواقع إلى الشرق من القصر الملكي أو المبنى (X) ولم يبقى منها غير الأساسات<sup>(16)</sup>، وكذلك يلاحظ عدم الترجمة لتلاميذه في كتاب الطبقات ماعدا محمد بن عيسى سوار الذهب، و يرجع ذلك في نظري لأمرين هما:  
الأول:- الخلاف الذي نشب في دنقلا بين مريدي وأبناء غلام الله من جانب وأبناء ومريدي سوار الذهب من الجانب الآخر، وهو موضوع سوف أفصله فيما بعد.

الثاني: إن غلام الله بن عايد ربما أتى إلى دنقلا طالباً للعلم ثم صار شيخاً لخلوة فيما بعد .

من الواضح أن الخلافات مع السواراب هي التي جعلت غلام الله أو سلالته من بعده إلى نقل نشاطهم العلمي والديني جنوباً إلى منطقة الدفار وديار الشايقية، ورغم أن غلام الله إشتهر لدي الكتاب والباحثين كأحد أهم رواد التعليم الديني في السودان، ولكن نلاحظ تجاهل صاحب الطبقات في الترجمة له، وكل ما أورده في سيرة غلام الله جاء في سياق الترجمة لإبنيه رباط وركاب<sup>(17)</sup> بإعتباره والدهما، وبرز من أحفاد رباط في مجال العلم والتصوف أولاد جابر وهم أربعة كما وصفهم صاحب الطبقات في ترجمة إبراهيم البولاد بن جابر: كالتبائع الأربع، أعلمهم إبراهيم وأصلحهم عبد الرحمن وأورعهم إسماعيل وأعبدهم عبد الرحيم، وأختهم فاطمة أم الشيخ صغيرون نظيرتهم في العلم والدين...<sup>(18)</sup>، وكذلك السادة الركابية الصغروناب أبناء فاطمة وغيرهم من الذين يطول الحديث عنهم، مما قد يخرجنا عن الإطار المكاني الذي رسمناه لهذه الدراسة -وهو منطقة الدفار- لذا سنشير لأشهر خلاويهم في المنطقة حيث أورد صاحب الطبقات في ترجمة عبد الرحمن بن جابر: « ... وله ثلاث مساجد، مسجد في دار الشايقية ، ومسجد في كورتي ، ومسجد في الدفار...»<sup>(19)</sup>، وسبق أن تحدثنا عن مسجد الدُّفَار في الفصل الأول، ونضيف هنا معلومة استقاها أحمد إبراهيم الشوك من مخطوط للبدوي محمد نافع موجود بدار الوثائق القومية بالخرطوم تحت الرقم 1/18/208 منوعات، تقول: « إن إبراهيم البولاد بن جابر قد وضع مسجداً بقرية ملك الدفار قصاد قنتي شرقاً ، وعند بناية المسجد وضع فيه خمس أعمدة حذواً بقواعد الإسلام، ولا تزال آثار المسجد موجودة بالدفار على مآثر مملكة البديرية ، وصار ملوك الشايقية يحضرون لإستماع الدروس والإشارات التي كانت توجّه إليهم من داخل المسجد»<sup>(20)</sup>.

ومن خلاوي الركابية أيضاً خلوة الشيخ ود دوليب وهو الشيخ محمد بن الشيخ محمد الضرير بن إدريس بن دوليب بن حاج بن عبد الله بن ركاب بن السيد غلام الله ولد بدبة الفقراء ونشأ بها، ودرس في خلاوي البديرية ، وأسس خلوته بدبة الفقراء وجلس للتدريس فيها وكان مشتغلاً بتدريس العلم ومطالعة كتب الفقه والعلم منها شرح الأجهوري والخراشي، وكان ود دوليب ورعاً تقياً شجاعاً في قول الحق، توفي ود دوليب بدبة الفقراء وله قبر ظاهر يزار وتولى خلوته من بعده أولاده وأحفاده<sup>(21)</sup>، وسجل الرحالة كرومب (Kurmp) الذي مر بمنطقة دبة الفقراء سنة

(1701م) بعض الملاحظات حول حيران الخلاوي والطريقة المتبعة في تعليمهم، ووصفهم بالمرابطين<sup>(22)</sup>، وكذلك خلوة حبيب نسي بقشاي - ونسي كلمة دنقلاوية نوبية تعني حفيد - وهو ابن رزين بن سليم بن رباط بن غلام الله ، وتخرج على يديه عدد كبير من العلماء والفقهاء، وتوفي حبيب نسي بأبي دوم قشاي ودفن به وله قبر ظاهر يزار<sup>(23)</sup>، وتولى أمر الخلوة بعده ابنه حاج حبيب الذي قام مقام أبيه حتى توفي ودفن مع والده وتولى الخلافة بعده محمد قبلي الذي درس في خلاوي جده ، وظل بقشاي حتى توفي ودفن فيها وقبره ظاهر يزار، ومن تلاميذ حبيب نسي المشهورين حسن ود بليل الذي عاد إلى مسقط رأسه العفاض وأسس بها خلوته وجلس للتدريس فيها، ونسبه حسن ود بليل بن الشيخ عبد الرازق بن سليم بن رباط بن غلام الله ، وظلت خلوته تؤدي دورها الديني والعلمي وتخرج العديد من العلماء، وتوفي الشيخ حسن بالعباض ودفن فيها، وتولى أمر الخلوة بعده أولاده وأحفاده<sup>(24)</sup>.

#### 5- 2 خلاوي السواراب (البديرية):

إن بداية تاريخ التعليم الديني في دنقلا يحتاج إلى الكثير من البحث والدراسة رغم أن دنقلا كانت حاضرة المملكة النوبية المسيحية المتحدة وعايشت مرحلة التحول من الديانة المسيحية إلى الإسلامية، ومع ذلك أصبحت أحد المراكز المهمة في نشر الثقافة الإسلامية. ويمكن القول بأن البديرية، وهم من المجموعات العربية المتنوبة (الدنقلاوية) التي مثلت النخبة المتعلمة في دنقلا في فترة التحول التي أشرت إليها، هي المجموعة التي حملت لواء نشر التعليم والثقافة الإسلامية (راجع الفصل الثاني). ولعل أشهرهم في الروايات الشفهية المحلية شيخ صالح أو شيخ سالا- على حسب نطق الدناقلة \_ وهو والد الشيخ عيسى الذي كان فقيهاً وقاضياً في دنقلا وجاء في كتابة الطبقات في ترجمة محمد بن عيسى سوار الذهب أنه تتلمذ على يد والده عيسى بن صالح البديري<sup>(25)</sup>، مما يشيء بأن ثمة وجود بوادر للتعليم الديني في دنقلا منذ فترة مبكرة.

ويعتبر المؤسس الحقيقي لهذه الخلوة هو محمد بن عيسى بن صالح، والتي ربما كانت إمتداداً لخلوة والده، وأمّه هي السيدة آمنة بنت الشريف أحمد المشهور بحمد أبو دنانة<sup>(26)</sup>. وقد إشتهر محمد بن عيسى بن صالح بسوار الذهب ويرجع البعض سبب هذه التسمية إلى أن الشيخ محمد كان له زوجة من بنات ملوك الجان السبعة وكان لها سوار من الذهب فضاع منها وأخبرت والدها بذلك وذكر لها بأن السوار عند زوجك محمد فسألته: عن سوارها فأعطاها إياه لذلك سماه ملوك الجن

بسوار الذهب<sup>(27)</sup>، ولكنني أعتقد أن لهذا اللقب صدى قديم في المنطقة إرتبط بأحد الألقاب الملكية بدنقلا، حيث كان ملوك دنقلا يُطعمون شاراتهم الملكية بالذهب. وقد تلقى سوار الذهب مبادئ تعليمه على يد والده ودرس الخليل، وبعد وفاته وتلمذ علي الشيخ محمد المصري، وقرأ العقائد والمنطق<sup>(28)</sup>. وقد اشتهر سوار الذهب بالعلم، وكان أهل دنقلا في زمانه يقولون في التمني: «اللهم أرزقني كرامات حبيبي نسي وعبادة دوليب نسي وعلّم ود عيسى»<sup>(29)</sup>، وورد أيضاً أن مفاضلة بينه وبين الشيخ سوار الذهب قد حدثت عند والي الحلفاية في زمن السميح وإختلفوا في ذلك، فأرسل إلى الشيخ دفع الله لأشتهاره بالعلم ليحكم في هذا الموضوع فقال له: «هذا ولي ولكن الشيخ محمد سوار الذهب جاب علوم القرآن في الجزيرة وعلّم التوحيد وسلك في الطريق وأرشد... فهو أفضل من غيره»<sup>(30)</sup>. ويبدو أن هناك خلطاً قد وقع في كتاب الطبقات بين عيسى بن محمد سوار الذهب وعيسى بن صالح والد سوار الذهب، حيث جاء في ترجمة الشيخ عبد الرحمن بن جابر أن الشيخ عيسى بن الشيخ محمد بن عيسى سوار الذهب تلمذ على يديه<sup>(31)</sup>. وهذا يبدو معقولاً من خلال السياق التاريخي للأحداث، أما ما جاء في ترجمة الشيخ عيسى بن صالح البديري أنه تفقه على الشيخ عبد الرحمن بن جابر<sup>(32)</sup> قد جانبه الصواب لأن الفترة الزمنية طويلة، كما بينت سابقاً.

ومن خلال مقارنة بعض التواريخ والأحداث المذكورة يمكن تصور تاريخ تقريبي لنشأة خلوة سوار الذهب في دنقلا علي النحو التالي:  
أولاً: قدم غلام بن عايد إلى دنقلا، وتلمذ على يديه سوار الذهب، أي في نهايات القرن الخامس عشر الميلادي، أو بدايات القرن السادس عشر الميلادي.  
ثانياً: تلقى أيضاً سوار الذهب، كما أشرنا بعض العلوم الدينية الدينية على محمد المصري الذي قدم إلى بلاد الفونج في بواكير النصف الثاني للقرن السادس عشر الميلادي<sup>(33)</sup>.

مما سبق نُرجِّح أن خلوة سوار الذهب كانت موجودة في النصف الثاني للقرن السادس عشر الميلادي أو قبله، وربما وضع اللُّبَّات الأولى لهذه الخلوة الشيخ عيسى بن صالح، وتزعم بعض الروايات أن الغلامية (نسبة لغلام الله بن عايد حسب تعبير الرواة) أرادوا إبعاده عن دنقلا بعد ذبوع صيته فشكَّوه إلى ملك دنقلا آنذاك حسن كُشكش الذي نفاه إلى جزيرة بدين. وعندما تعرضت المنطقة للمجاعة طلب منه السكان إرجاع سوار الذهب لإعتقادهم في صلاحه وكرامته فعفى عنه وزوجه إحدى

بناته وأنجب منها ابنه الأصغر حلالي المشهور بساتي حلالي - وساتي كلمة دنقلاوية نوبية الأصل كانت تستخدم في السابق كلقب ديني، وفي الفترة الإسلامية استخدمت بمعني شيخ دين - وإستقر سوار الذهب في دنقلا وواصل في التعليم الديني وجمع فيه بين العلوم الدينية والتصوف، ولعل السبب في ذلك أن السكان كانوا يميلون إلى التصوف لبساطة منهجه وإعتمادهم على التلقين والذكر وإستعمال الطبول والترانيم<sup>(34)</sup>، التي إعتادوا عليها، وكان للشيخ سوار الذهب مكانة دينية مرموقة وله تلاميذ (وهران) كثر يتوسمون فيه الولاية والصلاح ويهرعون إليه في الملمات وأوقات الشدة، ومما يدل على سمو مكانته أن الملك بادي بن رباط منحه عهد الأمان ولجميع تلاميذه وأعفى أراضي من الضرائب والعشور<sup>(35)</sup> وأصبحت دنقلا قبلة للعلماء وطلاب العلم وذلك واضح من كثرة القباب والعمارة الدينية.

### أشهر تلاميذ سوار الذهب:

إمتد نفوذ سوار الذهب العلمي والديني الي مناطق واسعة من السودان وذلك بسبب السياسة التي إتبعها حيث كان يُوجّه تلاميذه إلى الإنتشار في مختلف بقاع السودان لتعليم الناس أمور دينهم وإنشاء الخلاوي، ومن أشهر تلاميذه:

- حسين أبو شعر شيخ أولاد بري، وجاء ذكره في ترجمة الشيخ ابراهيم ولد بري<sup>(36)</sup>.
- بقدوش بن سرور الجموعي أخذ العلم من الشيخ سوار الذهب وولاه الشيخ عجيب الكبير القضاء وحارب معه<sup>(37)</sup>.
- عيسى ولد كنو أصله حضرمي ولد بدنقلا العجوز ودرس القرآن وأحكامه على يد سوار الذهب ثم إنتقل إلى حفير مشو<sup>(38)</sup>، وتزعم بعض الروايات أن عيسى قدم من اليمن وذهب إلى مدينة كنو النيجيرية ثم عاد ودخل دنقلا<sup>(39)</sup>. وربما الذي أدى إلى إضطراب هذه الروايات هو إسم كنو. والملاحظ وجود إسم مشابه له ومتداول حتى الآن في منطقة دنقلا وهو كونا (كُنة) ويعنى الصغير. وينسب إلى عيسى أنه أدخل رواية ورش التي يقرأ بها أهل شمال دنقلا والمحس إلى أرض (بطن) الحجر<sup>(40)</sup>، ومن تلامذته في تجويد القرآن الشيخ عبد الرحمن الأغبش والفقير ضو البيت وفضل الدنقلاوي.
- عبد الله الأغبش البديري الدهمشي ولد ببربر وحفظ القرآن على يد سوار الذهب وسبب لقبه بالأغبش أنه عند قراءته مختصر خليل عند جابر كسفت الشمس، فصلى بالناس صلاة الكسوف قرأ فيها سورتي البقرة وآل عمران جهراً فأنجلت الشمس فقال أحد ملوك الشايقية: «نعم أهل الغبشة»، فالتصق به هذا

الإسم منذ ذلك الوقت، وأسس عبد الله خلوة ببربر وتخرج على يديه عدد كبير من الطلاب وتوفي في بربر وله قبر يُزار<sup>(41)</sup>.

• عووضة بن عمر شكّال القارج، ولد بدنقلا العجوز وأصله حضرمي أخذ الطريق على يد الشيخ موسى فريد حوار الشيخ حسن ولد حسونة، وبعد وفاته رافق الشيخ سوار الذهب وأشتهر بالكرم وكان صاحب كرامات، توفي بدنقلا العجوز وله قبر يزار حتى الآن<sup>(42)</sup>.

• عبد الرحمن بن إبراهيم ولد أبو مُلاح والد الحاج خوجلي، ولد بدبة عنتار جهة سلامة الباشا وشمبات هرب وهو صغير إلى الشيخ سوار الذهب فحفظ القرآن وأحكامه وتعلم اللغة العربية ثم سافر إلى مصر وأجازه الشيخ الأجهوري شيخ الإسلام بمصر في مختصر خليل ومنظومته في التجويد<sup>(43)</sup>.

• عبد الرحيم ابن الشيخ عبد الله العركي المشهور بإبن الخطوة تتلمذ على يد الشيخ سوار الذهب وسلك الطريق وأرشده<sup>(44)</sup>.

• حمد بن حسن أبو حليلة ابن الفقيه قش بن الفقيه الركابي جمع بين العلم والعمل تتلمذ على الشيخ سوار الذهب كان له حظوة عند الشيخ عجيب الكبير ولد في أم سراو وهي قريته وتقع شمال الكدرو وتوفي ودفن بها وقبره ظاهر يزار<sup>(45)</sup>.

• حلاوي العامري هو محمد بن جمال الدين الحجّابي ولد بالكامينين (الكاملين) وتفقه على الشيخ سوار الذهب ثم سافر إلى مصر وكان فقيهاً حكيماً، إستقر بقوز العلم بشندي عندما جاءها طالباً للعلم. وتوفي ودفن بالقويز بالقرب من أبو جويلي غرب الحصاصيصة في دار الحلاويين عن عمر ناهز المائة بكثير<sup>(46)</sup>.

• جاء في ترجمة أبو سنيينة وهو محمد بن نصر الترجمي وأبوه نصر قرأ القرآن وأحكامه على الشيخ سوار الذهب، والذي أشار له بزواج أم سنيينة وأهلها من دنقلا سافروا إلى البويضة بأرض الأبواب، وتنبأ له سوار الذهب بأن ابنه منها سيكون صالحاً مشابهاً له في العلم، وكانت حلقة ابنه أبو سنيينة في أربجي قد بلغت ألف طالب وقرأ عليه القرآن عدد كبير من التلاميذ وصفهم صاحب الطبقات بأنهم «لا يحصون»<sup>(47)</sup>.

• المكي النحوي الرباطي أخذ العلم من الشيخ محمد المصري وأخذ جميع الفنون ثم سافر إلى الشيخ سوار الذهب وأخذ عليه الفنون ثانياً، ودرس العلم عند الزيداب في جرف عجيب، وسكن المنسي إحدى قرى الجزيرة شمال غرب المناقل،

وتوفي بها، وتخرج على يديه تلاميذ كثر منهم الشيخ موسى ولد يعقوب أبو قصة، الشريف عبد الرحمن، الفقيه حامد اللين، ويوسف فرُّر والفقيه حميد الصاردي<sup>(48)</sup>.

### خلفاء سوار الذهب:

تشير الروايات الشفاهية في منطقة دنقلا (العجوز) أنه بعد وفاة الشيخ سوار الذهب تنازع أبناؤه على تولي أمر خلوة والدهم، إلا أن صاحب الطبقات ذكر في ترجمة حلالي بن سوار الذهب وامه بنت ملك دنقلا حسن كُشكش أن كان صغيراً أثناء إحتضار والده، فقالت له زوجته: «أولادك الكبار أرشدتهم وولدي من يرشده؟ قال لها: عليك بالحضري (عووضة شكال القارح)»، وبعد موت سوار الذهب ذهبت لشيخ عووضة وقدمت له أسورتها وحجولها فأجلس ابنها حلالي مكان والده شيخاً للخلوة، وبلغ حلالي مبلغاً في العلم والدين والصلاح وصار مثل والده، وفاق جميع أخوانه، وتولى القضاء، وحكم بالمتفق عليه والقوي من الخلاف، وكان ميالاً للصالح<sup>(49)</sup>. وكذلك أشار في شئ من الإضطراب في ترجمة زيادة بن النور بن سوار الذهب « وكان عظيم الشأن وهو خليفة الشيخ محمد (جده سوار الذهب) على نار القرآن» فإن خلفاء الشيخ أثنان: الكبير موقد نارالعلم وعنده القضاء. والفقيه زيادة حظى حظا الخليفة ماذاه إلا عمه حلالي... وتوفي بزنقلة (دنقلا العجوز) وقبره ظاهر ويزار ... وجلس بعده للتدريس أحمد ولده. وزاد على أبيه في الحظ والهيبة والغنى... توفي بزنقلة (بدنقلا العجوز) أيضاً وولده محمد بن عيسى قام مقامه في كل شئ إلى خراب البلد<sup>(50)</sup>، من جانب آخر ويفسر صاحب الطبقات الثراء الذي كان عليه أحفاد سوار الذهب وكثرة تلاميذهم نتيجة لإستفادتهم من الإعفاء الضريبي الذي مُنح لسوار الذهب، ولمن يتعلم ويقرأ على يده، ومن جمع الزكاة وهبات المريدين، ودعم بعض السلاطين لهم حيث ذكر أن الملك دكين بن نايل أرسل إليه خمسين رأساً من الرقيق. ويبدو أن بعض روايات أسرة سوار الذهب بدنقلا تبين لنا ما حدث بصورة أوضح وتقول: بعد وفاة الشيخ سوار الذهب خلفه عيسى ولد كنو شيخاً للخلوة وتولى التدريس، وكان سوار الذهب قد ترك عند شيخ عووضة شكال القارح أمانة بيعة الطريقة إلا أن خلافاً حدث حول خلافة الطريقة بين أبناء سوار الذهب وذلك عندما أصرت والده ساتي حلالي (بنت الملك حسن كُشكش) على الشيخ عووضة بأن يجعل ابنها حلالي مكان أبيه سوار الذهب، ولكنه لم يستجب لطلبها وأعطى الأمانة لزيادة بن النور بن سوار الذهب على حسب الأمانة المتعارف عليها بين

المتصوفة والتي ذكرها له سوار الذهب، وبذلك أصبح خليفته وشيخاً خلفاً لجدّه وأنشأ خلوة أخرى إلى الجنوب من خلوة جدّه التي استولى عليها حلالي وبذا أصبحت بدتقلًا خلوتان، هما: خلوة الحلالاب والزياداب، ما زالت آثارهما باقية إلى اليوم، تقع خلوة (مسيد) سوار الذهب وسط مساكن الحلالاب أحفاد ابنه الأصغر ساتي حلالي (الذي خلف والده) جنوب القصر الملكي أو المبنى (X)، ولا تزال الخلوة بحالة جيدة مشيدة من الطوب اللبن والأحمر، أما الواجهة الشرقية فهي مشيدة من الطوب الأحمر، ومن الواضح أنه تم تجديد أو صيانة هذه الواجهة في فترة متأخرة نسبياً، والمبنى مسقوف من شجر الدوم والسنط وجريد وسعف النخيل ومضفور بالطوب الأحمر، ويبلغ إرتفاع المبنى حوالي (3) متر، ويوجد به مجموعة من الأعمدة بعضها من الخشب وأخرى مبنية من الطوب الأحمر واللبن والباب بالناحية الجنوبية الشرقية بعرض (2) متر وإرتفاع متر ونصف و هو مصنوع من الحديد، ويبدو أنه أستخدم حديثاً، ويوجد بالمبنى غرفة أخرى مربعة الأضلاع (3×3متر) بباب ضيق وقصير، وبهذه الغرفة مناوور مع مدخل آخر بالجهة الشمالية، وهي خلوة خاصة للشيخ ويلاحظ وجود هذه الغرفة في معظم المباني الإسلامية بالموقع وخاصة الخلاوى، وجوار هذه الخلوة خلوة زيادة وسط منازل الزياداب، والملاحظ أن هذه الخلاوى لا تزال مزارات للأهل والأحفاد والمريدين في المناسبات الدينية والأعياد<sup>(51)</sup>، ويذكر أبوبكر الخليفة محمد زيادة أن ساتي حلالي تولى القضاء ولم يصبح شيخاً للخلوة<sup>(52)</sup> (صورة رقم (16)).



صورة رقم (16) توضح جانبا من خلوة الحلاب  
(تصوير الباحث)

أصبحت دنقلا أو الصُّلاح (بضم وتشديد الصاد، جمع صالح)، كما يطلق عليها الأهالي، وذلك لكثرة مقابر وقباب العلماء والصالحين وأصحاب الكرامات بها، أحد أهم المراكز العلمية والدينية في السودان، ونار القرآن لم تنطفئ جذوتها في خلاوي دنقلا إلى فترات متأخرة ترجع إلى أواسط القرن العشرين، ولعل آخر الشيوخ هو الخليفة محمد زيادة ميرغني<sup>(53)</sup>، كما تجب هنا الإشارة إلى أن الروايات الشفهية تذكر أن للشيخ عووضة شكال القارح خلوة، أقام خلوة شرق خلوة غلام الله بن عايد وأصبحت فيما بعد ضريح لساتي محمد عيسى بن (سوار الذهب) وعدد من المشايخ<sup>(54)</sup>، وغيرها من الخلاوي الأخرى، التي انتشرت في مختلف بقاع السودان، ومن أشهر خلاوي البديرية

خارج مدينة دنقلا العجوز وداخل النطاق الجغرافي للدراسة هي خلوة الحاج بلال البديري الدهمشي في الغريبة سنة (888هـ) ثم تابع أمر الخلوة بعد وفاته وأولاده وأحفاده<sup>(55)</sup>.

### 5- 3 خلاوي أخرى:

سنتناول في هذا المبحث نماذج لبعض الخلاوي في المنطقة لشهرتها الكبيرة ولتأثيرها الواضح والكبير في حياة السكان، وربما كانت بعضها من أقدم خلاوي السودان، ومنها خلاوي البلياب وينتسبون إلى أحمد البيلي - أشرنا له في الفصل الثالث - والتي أسسها عووضة ابن أحمد بيبي المولود عام (1040هـ/1631م) في جزيرة التُّنْبَاب شرق تنقاسي وتلقى تعليمه في خلوة والده، وفي رواية أخرى في خلاوي أولاد جابر، وصار سائحاً بقرآنه في المنطقة حتى استقر به المقام في فقيرنكتي وأسس بها خلوة على ضفاف النيل وعندما كبر الشيخ عووضة في عمره وضعف بصره خشى عليه ابنه على الحاس من خطر التحرك وسط الجداول في الأراضي الزراعية فنقل خلوته بعيداً عن النيل، وتوفي الشيخ عووضة عام (1130هـ/1718م).<sup>(56)</sup>

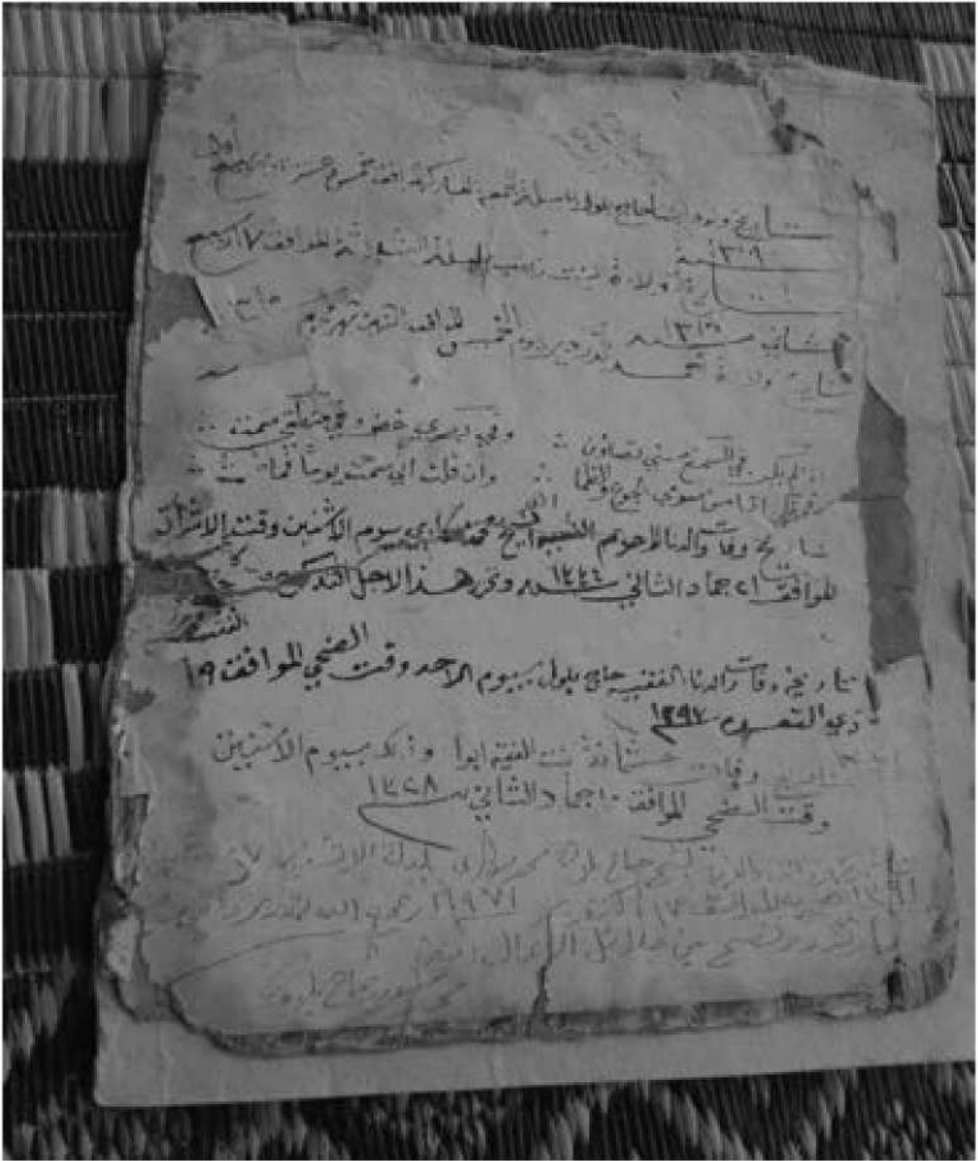
ومن أقدم الخلاوي في السودان، -وقيل إنها قبل خلوة غلام الله- خلوة حاج بلول بن أحمد بمنطقة عرب نارتي بالغابة -غرب دنقلا- الذي كان له مصحف أكمل كتابته سنة 871هـ<sup>(57)</sup>، وينتهي نسبه إلى بني هلال، وكان جدهم قدم من الحجاز، وما زال نسله موجودين الان بالغابة(صورة رقم (17،18) -وثيقة رقم (2)).



صورة رقم (17) توضح لوحة بها تاريخ تأسيس مسجد حاج بلول  
(تصوير الباحث)



صورة رقم (18) بقايا خلوة حاج بلول بعربنارقي (الغابة)  
(تصوير الباحث)



وثيقة رقم (2) توضح نسب حاج بلول  
(تصوير الباحث)

وكذلك إشتهرت خلوة الشيخ حمد ود نانة في جزيرة تنقسي من بين خلاوي المنطقة والتي تأسست في أوائل القرن العاشر الهجري على يد الشريف حمد الشهير بأبي دنانة بن الشريف أحمد بن الشريف أكبر وينتهي نسبه إلى سيدنا الحسين بن علي، قدم إلى منطقة تنقسي من مصر وأوقد نار القرآن وجلس لتدريس العلم وتحفيظ القرآن وإنتفع به عدد كبير من الناس وظل بتنقسي حتى وافته المنية بها سنة (960هـ) ودفن بدنقلا العجوز وتولى أمر الخلوة بعده ابنه الشريف حسن، وإرتبطت شهرة الشيخ حمد ببناته السبعة اللائي أنجبهن أهم سبعة مشايخ في السودان في تلك الفترة - على حسب رواية مشهورة - وهن:

- (1) أمينة أو أمونة والدة اليخ محمد عيسى سوار الذهب.
- (2) حليلة والدة الشيخ عبدالله الأغبش البديري.
- (3) هدية والدة الشيخ عمر ود بلاد جد العمراب الجعليين.
- (4) رابعة والدة اليخ شرف الدين بن فكرون (رجل أنقادي) وجد المشايخة الشرفدينا ب.
- (5) عائشة والدة الشيخ عجيب المانجلك.
- (6) مكة والدة الشيخ محمد ود عبد الصادق الركابي ساكن المندره.
- (7) فاطمة والدة الشيخ إدريس ود الأرباب<sup>(58)</sup>.

## الخاتمة:

من خلال هذه القراءة السريعة للتعليم الديني في منطقة الدفار نلاحظ الدور الكبير الذي لعبته مدينة دنقلا (العجوز) نشر الثقافة الإسلامية والعربية. إن أول ملك مسلم في السودان تربع على عرش دنقلا في الربع الأول من القرن الرابع عشر الميلادي وهو سيف الدين عبد الله برشمبو الذي تنسب إليه بعض الروايات، إنشاء أول خلوة لتعليم القرآن والمعروفة باسم خلوة عبد الله، كما أن أول الشيوخ الذين ورد ذكرهم هو شيخ صالح أو سالا وقبره بالضفة الغربية لمدينة دنقلا العجوز (الغابة) وهو والد الشيخ عيسى الفقيه والقاضي بدنقلا العجوز، من أوائل الشيوخ الذين إبتدروا التعليم الديني في دنقلا، وتزامن عهده مع قدوم غلام الله بن عايد دنقلا في نهايات القرن الخامس عشر الميلادي أو بدايات القرن السادس عشر الميلادي.

إن أهم خلوة في دنقلا أثرت الحياة العلمية والدينية في مختلف ربوع السودان هي خلوة سوار الذهب وأبناءه من بعده والتي يعود تأسيسها على الأرجح إلى أواسط القرن السادس عشر الميلادي، وتخرج فيها أفذاذ العلماء ورجال الدين، مع وجود بعض الخلاوي الأخرى مثل خلوة غلام الله بن عايد، أحد أهم رجال الدين في السودان، وربما كان للصراع الذي دار بينه وبين السواراب البديرية في دنقلا أثر كبير في نقل أحفاده لنشاطهم الديني والتعليمي جنوباً، ومثلوا أهم المراكز التعليمية في منطقة النفوذ السياسي لإمارة الدفار الإسلامية الواقعة جنوب دنقلا (العجوز).

ومجمل القول في موضوع التعليم الديني في منطقة الدفار أن هناك أسرتان أساسيتان وقع على كاهلهما عبء القيام بأمر التعليم الديني وهما: أحفاد غلام الله بن عائد الذين أشتهروا باسم الركابية، والثانية: البديرية (السواراب) - إلى جانب بعض الأسر مثل البلياب - وقد امتد دور هاتين الأسرتين خارج حدود منطقة الدفار إلى جميع أنحاء السودان وكان لهما الأثر الكبير والمهم في نشر الثقافة الإسلامية والعربية في السودان، وأنتشرت خلاوي هاتين الأسرتين في معظم أقاليم السودان، ولاننا حصرنا موضوع هذا الدراسة داخل الإطار المكاني لمنطقة لم نتطرق لهذه الخلاوي .

### هوامش وحواشي الفصل الرابع:

- (1) لمزيد من التفاصيل حول هذا الموضوع، راجع: احمد المعتصم الحاج، «الخلوة وأثرها الثقافي والإجتماعي في السودان من القرن 16 وحتى نهاية القرن 19»، مجلة محاور، جامعة أمدرمان الأهلية، أمدرمان، ع3، أغسطس، 1999م).
- (2) لمزيد من التفاصيل حول هذا الموضوع، راجع: عوض شيبًا، دنقلا والدناقلة، ط2، (الخرطوم، 2008م).
- (3) لمزيد من التفاصيل حول هذا الموضوع: راجع وليامز آدمز، النوبة رواق أفريقيًا، ترجمة محبوب التجاني محمود، ط2 (القاهرة: 2005م).
- (4) لمزيد من التفاصيل حول هذا الموضوع، راجع: عبد الله الطيب، هجرة الحبشة وما وراءها من نبأ، ط2، (الخرطوم: مؤسسة العلامة عبد الله الطيب الخيرية، 2015م).
- (5) المقريزي (ت 845هـ / 1445م)، أحمد على، المواعظ والإعتبار بذكر الخطط والآثار، في: مصطفى محمد مسعد، المكتبة السودانية، مجموعة النصوص والوثائق العربية الخاصة بتاريخ السودان في العصور الوسطى، الخرطوم: مطبعة جامعة القاهرة، بالخرطوم، 1972م)، ص 277.
- (6) عوض شيبًا، الإسلام في دنقلا.. مدخل لدراسة تاريخ الإسلام في السودان، ط1(الخرطوم، 2010م)، ص 52 - 54.
- (7) ابن ضيف الله، المرجع السابق، ص 40.
- (8) الطيب محمد الطيب، المسيد (الخرطوم: هيئة الخرطوم للطباعة والنشر، كتاب الخرطوم (21)، 2010م)، ص 376.
- (9) لمزيد من التفاصيل حول هذا الموضوع، راجع: سمير محمد عبيد نقد، غلام الله بن عايد وآثاره في السودان (الخرطوم: دار عزة للنشر والتوزيع، 2007م).
- (10) ابن ضيف الله، المرجع السابق، ص 215.
- (11) شيبًا، المرجع السابق، 2010م، ص 37.
- (12) الطيب محمد الطيب، المرجع السابق، ص 90.
- (13) نفس المرجع، ص 90-91.
- (14) سمير محمد نقد، المرجع السابق، ص 90.
- (15) ميرغني ديشاب، تاريخ الإسلام في دنقلا، كتاب غير منشور.

- (16) شبا، المرجع السابق، 2010م ص 56.
- (17) ابن ضيف الله ، المرجع السابق ، ص 215.
- (18) نفس المرجع ، ص 45.
- (19) نفس المرجع ، ص 251.
- (20) أحمد إبراهيم الشوك ، غلام الله بن عايد وآثاره في السودان، موقع سودانايل، شبكة الإنترنت.
- (21) فاطمة أحمد على ، رجال الخلاوي في السودان، ج 1 ، (الخرطوم: دار البلد، 2001م ) ، ص 56-57.
- (22) أو - جي كروفورد ، المرجع السابق ، ص 261.
- (23) فاطمة أحمد على ، المرجع السابق ، ص 83-84.
- (24) نفس المرجع ، ص 85-86.
- (25) ابن ضيف الله ، المرجع السابق ، ص 247.
- (26) محمد سعيد أحمد عبد الله ، من تاريخ منطقة دنقلا (الخرطوم: 1987م) بحث مطبوع بالآلة الكاتبة، ص 48.
- (27) نفس المرجع، ص 48-49.
- (28) ابن ضيف الله ، المصدر السابق ، ص 254.
- (29) نفسه ، ص 154.
- (30) نفسه ، ص 296.
- (31) نفسه ، ص 151.
- (32) نفسه ، ص 272.
- (33) نفسه ، ص 100.
- (34) عوض شبا ، المرجع السابق ، 2010م، ص 42.
- (35) ابن ضيف الله ، المصدر السابق ، ص 247.
- (36) نفسه ، ص 17.
- (37) نفسه ، ص 125.
- (38) نفسه ، ص 278.
- (39) فاطمة أحمد على ، المرجع السابق، ص 67.
- (40) نفس المرجع ، ص 68.
- (41) ابن ضيف الله ، المصدر السابق ، ص 279.

- (42) نفسه ، ص 272 - 277.
- (43) نفسه ، ص 257-258.
- (44) نفسه ، ص 258-259.
- (45) نفسه ، ص 150-151.
- (46) نفسه ، ص 183-185.
- (47) نفسه ، ص 89-90.
- (48) نفسه ، ص 103-104.
- (49) نفسه ، ص 182-183.
- (50) نفسه ، ص 227.
- (51) لمزيد من التفاصيل حول الموضوع، راجع: شيبًا، المرجع السابق، 2010م، ص 56 - 57.
- (52) أبوبكر الخليفة محمد زيادة، دنقلا العجوز (القدار)، إتصال هاتفي، بتاريخ 3 مايو/ 2015م.
- (53) نفس الراوي.
- (54) شيبًا ، المرجع السابق ، 2010م، ص 56.
- (55) الطيب محمد الطيب ، المرجع السابق ، ص 182-189.
- (56) لمزيد من التفاصيل، راجع: حمد عبد الرحمن حمد البيلي، المرجع السابق.
- (57) الطيب محمد الطيب ، المرجع السابق ، ص 132.
- (58) فاطمة أحمد على ، المرجع السابق ، ص 40-46.

## الخاتمة

يقف الكاتب حائراً في خاتمة هذا الكتاب ليقول كلمته الأخيرة و خلاصة النتائج التي توصل إليها من خلال بحثه عن هذه الفترة التي أعقبت إنهيار المؤسسة الملكية النوبية لمملكة المقرة والتي صاحبها أيضاً إنهيار المؤسسة الكنسية الدينية، وحدثت تحولات إجتماعية وثقافية كبيرة شكلت القاعدة الإجتماعية والثقافية لسودان اليوم. إن سبب الحيرة التي وقع فيها الكاتب غموض هذه الفترة وتداخل موضوعاته، أضف إلى ذلك أن النطاق الجغرافي لموضوع الدراسة والتي أطلق عليه اسم منطقة الدُّقَار، هي من أكثر المناطق التي شهدت تفاعلاً ثقافياً واجتماعياً كبيراً في فترة التحولات هذه وكانت إحدى مراكزها الطلائعية والمؤثرة، وربما مرد ذلك إلى قربها من عاصمة مملكة المقرة دنقلا فهي تمثل الإمتداد الجنوبي لها، لذا فإن الكتاب طرح العديد من التساؤلات حول العديد من القضايا التاريخية الشائكة والمتعلقة بهذه الفترة، ثم حاول الإجابة عنها بتقديم بعض الإضاءات الأولية عليها تكون معيناً للباحثين في هذه الفترة، في سلسلة من الكتب بعنوان رئيسي باسم: (خلفاء مملكة المقرة) وهذا الكتاب الذي بين يديك هو الكتاب الثاني في هذه السلسلة، وسوف يعقبها كتاب ثالث يتناول السلالات الملكية لمملكة المقرة في دنقلا (العجوز). و خلاصة القول فيما عرضناه في ثانيا هذا الكتاب أن هناك عدة عوامل داخلية وخارجية ساهمت في ضعف وتدهور مملكة المقرة منذ منتصف القرن الرابع عشر الميلادي، من أهمها صراع إمرائها على السلطة، وتعرضها لضغط المماليك والجماعات العربية القادمة من مصر، والتي كانت أحد عوامل نشر الإسلام في بلاد النوبة، الذي حل تدريجياً مكان الدين المسيحي، وهذا الوضع الجديد كان له أثر كبير في حدوث تغييرات سياسية وإجتماعية أدت إلى إنقسام المملكة إلى كيانات سياسية صغيرة، وهي - في الغالب- ذات المراكز الإدارية القديمة للمملكة والتي كانت في شكل ممالك صغيرة شبه مستقلة تتبع للأسرة الحاكمة في دنقلا، وكانت نحو ثلاثة عشرة مركزاً، وعندما بدأت مملكة المقرة في الضعف والتدهور، أخذت هذه المراكز في الإستقلال تدريجياً وأصبحت كيانات سياسية مستقلة كل على حسب ظروفها السياسية والإقتصادية والثقافية، ومن بينها مركز الدُّقَار، التي أشتهرت في المرويات السودانية بمملكة الدفار أو مملكة البديرية.

أما الدُّقَار-كموقع ومكان- كانت مستوطنة قديمة، وحصن منيع، ومن المراكز الأولى والمهمة لمملكة المقرة المسيحية، وكذلك شهد موقع الدُّقَار الإستيطان الإسلامي

المبكر على حسب بعض البيّنات الأثرية، ولعب دوراً سياسياً مهماً في الفترة المتأخرة من تاريخ الممالك النوبية، -ناقشنا هذا الدور من خلال الفرضية التي طرحناها حول جعل الدُّقار -، ثم برز دورها بصورة واضحة كأولي الإمارات الإسلامية التي أسسها البديرية لتصبح نواة أول دولة دينية في السودان، حتى تفككت وإنهارت قبيل الغزو التركي الألباني للسودان عام (1821م) بسبب الخلافات والإنقسامات الداخلية والصراعات مع المكونات السياسية الأخرى والمتمثلة في مكوك الشايقية من الناحية الجنوبية، مما أدى إلى هجرة بعض أفراد الأسرة الحاكمة إلى مناطق أخرى.

شكل المكون الإجتماعي للدُّقار عدة مجموعات أسرية من أهمها مجموعة المقابودة (المقابدة)، وهي من المجموعات القديمة في المنطقة، والتي تصاهرت مع البديرية، وكذلك الركابية والبليّاب، التي إختلطت هذه المجموعات عن طريق التزاوج مع إحتفاظ كل مجموعة بخصوصيتها النسبية، كما هناك بعض المجموعات التي لم تنصهر في النسيج الإجتماعي للمنطقة وكان لها دور كبير في الحياة الإقتصادية والإدارية مثل الفونج - تناولنا جانباً من تاريخهم في كتابنا الأول - والملاحظ أن هناك أسرتان أو مجموعتان نشطتا في مجال التعليم الديني على مستوى المنطقة والسودان بصورة عامة وهما أسرة السواراب البديرية، والركابية أحفاد غلام الله بن عايد ، وتعتبر جهود هاتان الأسرتان وغيرها من الجهود -أشرنا إليها في الفصل الخامس- هي الدعامة الأساسية لنشر التعليم الديني والثقافة الإسلامية في جميع أنحاء السودان، وهو من أبرز المظاهر الحضارية لخلفاء مملكة المقررة.

## المصادر والمراجع

- (1) ابن سليم الأسواني (ت 386هـ/996م)، عبد الله بن أحمد بن سليم، كتاب النوبة والمقرة وعلوة والبعة والنبيل، في: مصطفى محمد مسعد، المكتبة السودانية العربية ، مجموعة النصوص والوثائق العربية الخاصة، بتاريخ السودان في العصور الوسطى، (الخرطوم: من مطبوعات جامعة القاهرة بالخرطوم، 1972م).
- (2) أبو بكر الخليفة محمد زيادة، دنقلا العجوز (القدار) ، إتصال هاتفي، بتاريخ 3 مايو/ 2015م.
- (3) أحمد إبراهيم أبوشوك، العمدة أحمد عمر كمال (1915-1995م)، ملامح من تاريخ كورتي وشذرات من تاريخ الرجل، (الخرطوم: مدارك للطباعة والنشر والخدمات، 2016م).
- (4) إبراهيم أبنعوف، أستاذ جامعي، 65 عاماً تقريباً، مقابلة بمكتبه، جامعة الخرطوم، بتاريخ 2016/11/7م.
- (5) أحمد إبراهيم الشوك ، غلام الله بن عايد وآثاره في السودان، موقع سودانايل، شبكة الإنترنت.
- (6) احمد المعتصم الحاج، «الخلوة وأثرها الثقافي والإجتماعي في السودان من القرن 16 وحتى نهاية القرن 19»، مجلة محاور، جامعة أمدرمان الأهلية، أمدرمان، ع3، أغسطس، 1999م).
- (7) أحمد المعتصم الشيخ، مملكة الأبواب المسيحية وزمن العنج، (القاهرة: مركز الدراسات السودانية، 2002م).
- (8) أحمد بن المشهور بالنبر، كراس النسب المخطوط محفوظ ضمن وثائق العباسية، دار الوثائق القومية الخرطوم، نقلاً عن: أحمد المعتصم الشيخ، «حاشية ومستخلص من زيارة روبيني للسودان»، مقال غير منشور.
- (9) أحمد عبد الرحيم نصر، تاريخ العبدلاب من خلال رواياتهم السماعية، ط2، (الخرطوم: الأمانة العامة لمشروع سنار عاصمة الثقافة الإسلامية (1438هـ / 2017م)، سلسلة كتاب سنار(21).
- (10) أزهرى سعيد إدريس سيد احمد، موظف بالمعاش، 65 عام، مقابلة بالحاج يوسف الخرطوم بتاريخ 2016/10/21م.
- (11) الأمين عثمان شعيب الحاج، «لمحة تاريخية عن مملكة الدُّفَار الإسلامية»، جامعة إفريقيا العالمية، 2017م.
- (12) بدوى محمد موسى بلال، موظف ومزارع بالمعاش، 75 عام، مقابلة شخصية بقرية المقاعدة، بتاريخ 2016/8/13م .

- (13) حسام الدين محمد محمد أحمد وآخرون، المسح الفلكلوري على الضفة الغربية للنيل ما بين منصوركتي وحسين نارتق، 2015م.
- (14) حسن بابكر عبد الحفيظ، مقابلة بمنزله بالعمارات، الخرطوم، بروفييسير في علم النفس، مهتم بتاريخ منطقة الدُفار، 80 عام تقريباً، بتاريخ 2017/5/7م.
- (15) حليلة كية ، متقاعدة في المنزل ، 120 عاماً تقريباً ، مقابلة بمنزلها ، قرية المقاوذة ، بتاريخ 2009/10/21م.
- (16) حمد عبد الرحمن حمد البيلي، سلف البيلاب وأصهارهم من أعيان العرب، ط1، (الخرطوم: 2009م).
- (17) خالد سر الختم سيد احمد (بروفيسر)، أستاذ جامعي بالمعاش 72 عام، مقابله بمنزله بالخرطوم بري، يوم الأربعاء 2016/7/23م .
- (18) س. هيللسون ، «داوود روييني من الأوائل لسنار»، السودان في رسائل ومدونات، ع 15، 1933م، ترجمة: أحمد المعتصم الشيخ، مقال غير منشور، ص3.
- (19) سبنسر ترمينجهام، الإسلام في السودان، ترجمة فؤاد عكود، 2001م.
- (20) سليمان ، نزار النور على باحث وأكاديمي، 65 عاماً، مقابلة، مكتبة وزارة التعليم العالي، الخرطوم بتاريخ 2016/10/31م
- (21) سمير محمد عبيد نقد ، غلام الله بن عايد وآثاره في السودان (الخرطوم: دار عزة للنشر والتوزيع، 2007م).
- (22) سمير محمد عبيد نقد، غلام الله بن عايد وآثاره في السودان، (الخرطوم، دار عزة للنشر والتوزيع، 2007م).
- (23) سوسن حسين حماد، آثار مملكة الدُفار، بحث تخرج لنيل مرتبة الشرف، بكالوريوس، قسم الآثار، كلية الآداب، جامعة الخرطوم، 2017م.
- (24) الشاطر بصيلي عبد الجليل، تاريخ حضارات السودان الشرقي والأوسط من القرن السابع إلى القرن التاسع الميلادي، (القاهرة: الهيئة العامة للكتاب، 1972م).
- (25) الطيب محمد الطيب، المسيد (الخرطوم: هيئة الخرطوم للطباعة والنشر، كتاب الخرطوم (21)، 2010م).
- (26) عامر عبد الحميد سيد أحمد، ما أهمله التاريخ (الأشراف العباسيون الهاشميون في السودان فروعهم وأنسابهم وتاريخهم الأشراف الشايقية نموذجاً)، (ب - ن).
- (27) العباس عبد العال حمور، دنقلا العجوز، عاصمة السودان في زمن الحضارة النوبية والمسيحية والإسلامية (الخرطوم، 2008م).
- (28) عبد الله الطيب، هجرة الحبشة وما وراءها من نبأ، ط2، (الخرطوم: مؤسسة العلامة عبد الله الطيب الخيرية، 2015م).
- (29) عبد الله حسين، السودان من التاريخ القديم إلى رحلة البعثة المصرية، ج1، (القاهرة: مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، 2012م).

- (30) عبد المنعم حسن الملك، دور ربيعة في صناعة تاريخ السودان (مملكة الشاطراب نموذجاً) في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين، شبكة الإنترنت، وإتصال هاتفي مع الكاتب في شهر أبريل (تقريباً) عام 2018م.
- (31) عز الدين سعيد إدريس سيد احمد، موظف بالمعاش، 70 عام الإمارات العربية المتحدة، تسجيل صوتي بالواتساب، بتاريخ 2016/8/7م.
- (32) عطية القوسي، تاريخ دولة الكنوز الإسلامية، (القاهرة: دار المعارف، 1976م).
- (33) علوية حسن عثمان ، معلمة ، 58 عاماً تقريباً ، مقابلة معها بمنزل بشري شيخ الدين ، المزاد - الخرطوم بحري، بتاريخ 2017/4/5م.
- (34) على يوسف آدم إبراهيم (شيخو)، ملامح من تاريخ وتراث الميذوب، (الخرطوم: مطبعة جامعة الخرطوم، 2016م).
- (35) عمر عبد الرحيم سلطان، 80 عام تقريباً ، تاجر ، مقابلة بمنزله بأركويت - الخرطوم بتاريخ 2016/8/3م.
- (36) عوض أحمد حسين شبا ، أغنية السيرة السردية الدنقلوية ، كتاب غير منشور.
- (37) -----، المقاوذة - الاسم والتاريخ - مقال غير منشور.
- (38) -----، الأصل الأكسومي الحميري للأسرة الملكية لمملكة المقرة، مجلة القلزم للدراسات العلمية، ع 2، يونيو 2020م.
- (39) -----، الإسلام في دنقلا.. مدخل لدراسة تاريخ الإسلام في السودان، ط1(الخرطوم، 2010م).
- (40) -----، دنقلا والدناقلة، ط2، (الخرطوم، 2008م).
- (41) عون الشريف قاسم، موسوعة القبائل والأنساب في السودان وأشهر أسماء الأعلام والأماكن، ج2، (الخرطوم 1996م).
- (42) عينات من عمق تاريخ السودان، الحلقة الأولى (ملوك المقرة)، موقع السلالات العربية على صفحات الانترنت ..
- (43) فاطمة أحمد على ، رجال الخلاوي في السودان، ج1 ، (الخرطوم: دار البلد، 2001م).
- (44) فاطمة أحمد على، مقابلة بمنزلها، 60 عام تقريباً، باحثة في التأريخ والتراث، دكتوراه في تاريخ السودان الحديث، الحاج يوسف، الخرطوم، بتاريخ 2017/5/3م.
- (45) فاطمة على عبد الرحيم نصر، الآثار والتاريخ والتراث في منصور كتي، بحث تكميلي لنيل درجة البكالوريوس، مرتبة الشرف، قسم الآثار، كلية الآداب جامعة الخرطوم 2014.
- (46) فوزي عبد الرازق بيبي مكاوي، (مملكة أكسوم - دراسة لتاريخ المملكة السياسي وبعض جوانب حضارتها)، رسالة دكتوراة غير منشورة، معهد البحوث والدراسات الإفريقية، جامعة القاهرة، 1974م.

- (47) ك. باربر، الموجز في جغرافيا السودان الإقليمية، ترجمة: هنري رياض وآخرون، (بيروت، 1968م).
- (48) ل. كورباتشيك، «النوبة في نهاية القرن الثاني عشر وحتى فتح الفونج في بداية القرن السادس عشر، في تاريخ أفريقيا العام، مج4، اليونيسكو، 1998م.
- (49) لينان دوبلفون، يوميات رحلة إلى مروى في سنتي 1821 1822- م ترجمة: فضل الله إسماعيل على، (الخرطوم: جامعة السودان المفتوحة 2010م).
- (50) محمد الحسن عبد الصمد، «مملكة الدفار: التاريخ والآثار العلمية والثقافية والاجتماعية والدعوية»، محاضرة بتاريخ 2012/6/24م.
- (51) محمد المصطفى النور، « أولاد ألس - الإزاحة السكانية واللغوية والثقافية للعناصر الأصلية والتحول نحو العربية - الإسلامية في المنطقة الممتدة بين منصور كتي والدبة من خلال الروايات الشفاهية»، ورقة مقدمة في مؤتمر: «سنار: المدينة - الدولة - الحضارة»، ضمن فعاليات سنار عاصمة الثقافة الإسلامية 2017م، بتاريخ 31 مايو - 1 يونيو 2016م، قاعة الصداقة، الخرطوم.
- (52) محمد بن علي العجيمي، المولد المسمى بكامل الأنوار في سيرة النبي المختار صلى الله عليه وسلم، ط3، (الخرطوم: مطبعة التمدن، ربيع الأول 1393هـ).
- (53) محمد جلال أحمد هاشم، جزيرة صاي، قصة الحضارة، (أم درمان: مركز عبد الكريم ميرغني، 2014م).
- (54) محمد حسين محمد محمود، موظف بالمعاش، نقابي سابق، مهتم بالتراث، 70 عام تقريباً، مقابلة بمنزل عثمان حسين محمد محمود، الحاج يوسف، الخرطوم بتاريخ 2018/6/2م.
- (55) محمد سعيد أحمد عبد الله، من تاريخ منطقة دنقلا (الخرطوم: 1987م) بحث مطبوع بالآلة الكاتبة.
- (56) محمد عبد الرحمن أبو سبيب «أدوات الزينة عند الشايقية وأصولها الثقافية، دراسة في الجمالية الشعبية»، مركز عبد الكريم ميرغني (ب. ت.).
- (57) محمد عبد الرحيم، النداء في دفع الافتراء، (القاهرة: مطبعة البرلمان، 1952م).
- (58) محمد كنده، باحث ومؤرخ من جبال النوبة، الخرطوم بتاريخ 2012/4/8م.
- (59) محي الدين تيتاوي، صحفي سوداني معروف، 70 عام تقريباً، مقابلة بمنزله بالخرطوم، يوم 2016/6/9م.
- (60) مصطفى محمد مسعد، الإسلام والنوبة في العصور الوسطى، بحث في تاريخ السودان وحضارته حتى أوائل القرن السادس عشر الميلادي، (الخرطوم: دار المصورات للنشر، 2011م).

- (61) المقريزي (ت 845هـ / 1445م)، أحمد على، المواعظ والإعتبار بذكر الخطط والآثار، في: مصطفى محمد مسعد، المكتبة السودانية، مجموعة النصوص والوثائق العربية الخاصة بتاريخ السودان في العصور الوسطى، الخرطوم: مطبعة جامعة القاهرة، بالخرطوم، 1972م).
- (62) موقع موسوعة ويكيبيديا، شبكة الانترنت.
- (63) ميرغني ديشاب، تاريخ الإسلام في دنقلا، كتاب غير منشور.
- (64) نعوم شقير، جغرافية وتاريخ السودان، تقديم: فدوى عبد الرحمن على طه، (الخرطوم: دار عزة للنشر والتوزيع، 2007م).
- (65) هارولد، أ. مكمايكل، تاريخ العرب في السودان (بما فيهم الشعوب التي سبقتهم وسكان دارفور)، الكتاب الأول، تعريب: سيد محمد على ديدان، طذ، (أم درمان: مركز عبد الكريم ميرغني الثقافي، 2012م).
- (66) و.نوكلز، الشايقية، وصف لقبائل الشايقية وتاريخ مديرية دنقلا من القرن الرابع عشر إلى القرن التاسع عشر، ترجمة: عبدالمجيد عابدين، ط 1، (ب.ن).
- (67) وليامز آدمز، النوبة رواق أفريقيا، ترجمة محجوب التجاني محمود، ط 2 (القاهرة: 2005م).
- (68) يان فانيسيا، المآثورات الشفاهية، ترجمة: أحمد مرسى، (القاهرة: مكتبة الدراسات الشعبية، 1999م).
- (69) يوسف فضل حسن، مقدمة في تاريخ الممالك الإسلامية في السودان الشرقي (1450-1821م)، ط 4، (الخرطوم: 2003م).
- (70) يوسف فضل حسن، الكتابة التاريخية في السودان وادي النيل (ملاحم من بدايتها، ملاحظات - حول تطورها، ورؤى حول مستقبلها)، (الخرطوم: الجمعية التاريخية السودانية، 2018م).
- (71) B. Zwawzki, The southern Dongola Reach survey: the first season (1998), Nubian Studies, Boston 1998, pp. 472 - 484.
- (72) J. Philips: The southern Dongola Reach survey, The first season (1998): A review if the Ceramices and other finds, Nubian Studies, Boston 1998, pp. 371 - 383.
- (73) S. Trimingham, Islamin Sudan, (London, 1949).
- (74) R.S.O, Fahey and J. L, Spaulding "Kindoms of the Sudan", 1974.



رَقْم الإِيْدَاع : ( 2021 / 0607 )